ديوان موكب النور



شعر

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

موكب النور

شعر

الدكتور عدنان علي رضا النحوي

الطبعة الأولى

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

الطبعة الثانية

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة الثالثة

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

AL-NAHWI

دار النحوي للنشر والتوزيع

ت: ٤٠١٠٢٥٧ - ص.ب: ١٨٩١

الرياض ١١٤٤١

موكب النور

AL-NAHWI

دار النحوي للنشر والتوزيع

ٱللَّهُ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ
ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ
زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ
عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ
بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾

سُورَةُ النُّورِ

الإهداء

إلى القلوب المؤمنة الواثبة ...
لتجعل من كل كلمة قوة ...
ومن كل وثبة نصراً ...

مقـــدِّمة

لا تزال الأمم تبحث عن أسباب قوتها، تضرب في باطن الأرض وتخترق أجواء السماء، تبحث هنا وهناك عن الثروة والكنوز، وتجمع القوة والنفوذ. وهي بذلك تسعى لعلوّ الشأن وامتداد السلطان، ليس لها من هدف أبعد ولا قصد أعلى.

إلا أمة الإسلام...! إلا أمة الإسلام التي امتدت في التاريخ مع أول دعوة للحق وأول رسالة من السماء. امتدت في التاريخ ولا تزال ماضية معه أمة وسطاً ليكون الرسول شهيداً عليها وتكون هِيَ شهيدة على الناس. لا تحصرها أرض خانقة أو قومية جاهلية، وإنما مُدَّت لها الأرض وبُسِطَتْ لها الدنيا لتحمل معها أنبل هدف وأعلى قصد وأبعد غاية. فأما الغاية فهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى فهو غايتها، وأما القصد فهو العبودية لله ربّ العالمين، عبودية لله ربّ العالمين تعلو وتسمو حتى تحقق العزّة والنصر وإعلاء كلمة الحق.

ألا إنها أمة العقيدة...!

وتنطلق هذه الأمة مع هذه الغايات والأهداف تجمع كذلك أسباب القوة ومصادر المنعة، تجمعها كلها جمعاً أوسع وأبعد، وأقوى وأشد. فلا تقف عند مجرد علوّ الشأن أو امتداد السلطان أو زخارف المجد.

وإذا كانت سائر الأمم قد جعلت من الأدب قوة عظيمة مع سائر القوى،

وسلاحاً حادًّاً مع سائر الأسلحة، فأمة الإسلام أحق بذلك وأجدر. فأدبها ينبع من عقيدة ويصدر عن إيمان، حتى يصبح قوة تدافع وتنافح وتدعو وتكافح.

ولكم دوّى الشعر - شعر العقيدة والإيمان - بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الميادين وساحات القتال. فجعل الرسول صلّى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت رضي الله عنه في المسجد منبراً يقوم عليه ينافح عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم. ويقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في عمرة القضاء حين أنشد عبدالله بن رواحة رضي الله عنه شعراً: خلِّ عنه يا عُمَرُ فَلَهِيَ أَسْرَع فيهم من نضحِ النبل. ولكم أحبَّ أن يسمعَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم شعر أمية بن أبي الصلت...!

هذا هو شعر العقيدة والإيمان، وأدب العقيدة والإيمان. إنه أدب وقوة، وسلاح ونبل. إنه شيء آخر يختلف عن غيره من ألوان الشعر، يختلف في منطلقه وهدفه، ونغمته وجرسه، وصياغته وروحه. إنه شعر متصل بحقيقة الحياة، ممتد مع امتداد الكون، متسع مع اتساعه. إنه ينبع من الإيمان وينطلق في آفاق الحياة ليكون مع كل نبضة خشوعاً، ومع كل دفعة يقيناً. إنه يتصل مع الحياة اتصال تناسق وانسجام، ويرتبط ارتباط قوّة والتحام. إن معدنه الحق وكلمته الصدق.

فمن خفقة تسبيح وخشوع، إلى رعشة دعاء وابتهال. ومن نظرة في آفاق الخير والجمال، إلى دفعة صادقة في ميادين القتال. ومن سياسة وفكر، إلى بشريات ونصر.

إنه رعشة الفرح ودمعة الحزن.

إنه لهفة الشوق ورقة الحنان.

إنه قوة الجهاد وثبات اليقين.

إنه نفحة الإيمان وعَبَق الصدق.

إنه متعة الطهارة وزينة العزة.

إنـه شعـر العقيدة والإيمان. . .! يلمس جوانب الحياة لمسة الطهر والنظافة، ويطرق أبوابها طرق القوة والثبات، ويجول في شتى نواحيها جولات الحق واليقين.

شتان ما بين لمسته ولمسة سواه، وطرقته وطرقة سواه، وجولته وجولة سواه.

يطوف في الكون بين الأرض والسماء، فيرى الآيات البينات بين الخير والجمال، حتى يخشع وينيب. وغيره ينظر فلا يرى. . .

ينـظر إلى الأزاهير والورود، فيرى الخلق وهو يتجدد، حتى يخبت ويؤوب، ويسبح ويتوب. وغيره ينظر فيرى لهو المتعة فيستكبر. . .

يرى المرأة فيرى طهرَ جمالها، وجمالَ طهرها. يرى كرامة عونها وأُنْس عِشرتها وأمْنَ سَكَنِها، حتى يحمد ويشكر. ويرى غيره الجنس الملوّث بالأوحال، والشهوة المدّماة بالجريمة، والرغبة القاتلة للفطرة. . .

يرى أهله وأقرباءه، وصحبه وجيرانه، فإذا هم قربى ورحم، وصلة وإحسان. ويرى غيره عصبيةً مريضة، وكبراً مميتاً، وفساداً وتقطيعاً. . .

يرى أرضه وداره فإذا هي منبت خير، وحمى عقيدة، وميدان جهاد، وتاريخ أمة، فيهبها ماله وجهده وروحه في سبيل الله، يحمي عرضاً ويصُون حوضاً. ويرى غيُره الوطن منبت مصالح، وحمى تجارة، وميدان لهو، فإن وهبه شيئاً وهبه في سبيل الشيطان. . .

يعيش مع الناس، مع أفراحهم وآلامهم يدعو وينصح، ويواسي ويعين ويبذل ويجود. ويعيش غيره تحت شعارات تُطْوَى في غمرات اللهو، ورايات تنزل في أسواق النهمة والمساومة. فشعر العقيدة كلمة حق ودعوة صدق. وسواه دغدغة عواطف وإثارة نوازع. . .

فشتان ما بين لمسة ولمسة، وجولة وجولة. . .

ومهما حاولت الأمم أن تبحث عن مصادر القوة، أو أن تشحذ من أسلحة، أو أن تطور من مدافع، أو تصنع من قنابل، مهما حاولت هذا أو ذاك فستظل الكلمة أمضى سلاح وأصدق قوة، ستظل أسرعَ من نضح النبل... وستظل كلمة الحق هي الأمضى... وستظل هي الأقوى...

وشعر العقيدة والإيمان قوة من قوى الكلمة، له مضاؤها ونفاذها. وأمة الإسلام أحق أن ترعى أدبها - أدب العقيدة - وأن تصون قوتها - قوة الحق.

عدنان علي رضا النحوي
١٣٩٩/٢/٣
١٩٧٩/١/١

جولة
في تل الزعتر

رُدَّ السُّيُوفَ إلَى الأَغْمَادِ وَانْتَظِرِ
مَا يَنْقُلُ «التَّلُّ» مِنْ هَوْلٍ وَمِنْ خَبَرِ

هُنَاكَ... دُنْيَا الْمُرُوءَاتِ الَّتي انْتَفَضَتْ
عَلَيْكَ في وَثْبَةٍ وَهَّاجَةِ الظَّفَرِ

جَرَحْتَ أَطْرَافَ لِينٍ مِنْ إِبَاءَتِهَا
في لَمْحَةٍ مِنْ أَنَاةِ الصَّبْرِ والحَذَرِ

وَلِلإبَاءَةِ لِينٌ وَهْيَ شَامِخَةٌ
على رَعَادِيدَ مَالُوْا أَوْ عَلَى غُدُرِ[1]

حَتَّى انْجَلَى صَبْرُهَا عَنْ وَمْض مُحْرِقَةٍ
مِنَ الصَّوَاعِقِ أَوْ خَطْفٍ مِنَ الشَّرَرِ

(١) جمع غَدُور وهو كثير الغدر.

وَعُــدْتَ هَرْوَلَــةً حَيْرَانَ مُنْـكَـمِـشـاً
تلوذُ في عَثَـراتِ الــذُلِّ والــصِّـغَــرِ

يَا «ابْـنَ الْـكَـتَـائِـب»...! وَيْلٌ مِنْ مُجَالَـدَةٍ
تَرُومُـهَـا! فَانْـظُرِ الأَحْـدَاثَ وَاعْـتَـبِرِ

رُدَّ الـسُّـيُوفَ عَلَى أَثْـلامِـهَـا طُوِيَتْ
إِنْ لَمْ يَعُـدْ لِحَيَاء فِيْكَ مِنْ أَثَـرِ

هِيَ الْمُــرُوءَةُ! خَجْـلَى... كُلَّمَا نَظَرَتْ
إِلَــيْكَ أَغْـضَـتْ بِطَرْف عَنْـكَ مُنْـكَسِرِ

هِيَ الــرُّجُــولَـةُ غَضْبـى! ... كُلَّمَا التَفَتَتْ
إِلَــيْكَ مَالَــتْ بِعَـيْنِ الــسُّـخْطِ والــكَـدَرِ

فلاَ الــسُّـيُوفُ الَّــتِي جَرَّدْتَ مُنْـجِـيَةٌ
وَلاَ الــوُجُــوهُ الَّــتِي أَخْـفَـيْتَ بِالْـعُـذُرِ[1]

مَضَــى بِأَقْـنِـعَـةٍ خَرْسَـاءَ مُسْـتَـتِراً
خَلْفَ الــصَّلِيب غَرِيبُ الــوَجْـهِ والــصُّـوَرِ

أزِحْ صَلِيبَــكَ...! نَنْـظُرْ أَيَّ مُقْـتَـحِـمٍ
عَلَى الحِـمَـى، أَوْ دَعِـيٍّ كاذِبٍ أَشِرِ

(١) جمع عَذِير وهو النصِّير.

مَا بَيْنَ كُفْـرٍ صَرِيحٍ فِي عَدَاوتِـهِ
وَبَـيْنَ دَسٍّ على الأَدْيَانِ مُعْـتَـكِـرِ

★ ★ ★

«مُخَـيَّمَ الـتَّـلِّ» كَمْ وَشَّـيْتَ ناحِـيَةً
وَكَـمْ نَثَـرْتَ عَلَى الأَطْـلَالِ مِنْ زَهَـرِ

تَنَـفَّسَ الـصُّبْحُ وَالآمَـالُ زَاهِـرَةٌ
تَفَـتَّـحَـتْ عَنْ شَبَـابٍ زَاهِـرٍ عَطِرِ

رَعَـيْتَـهُ زَمَـنـاً فِي ظِلِّ حَانِـيَةٍ
مِنَ الـضُّلُوعِ وَشَـوْقٍ بِالْمُـنَـى خَضِرِ

غَذَوْتَـهُ مِنْ لِبَـانِ الحَـقِّ مكْـرُمَـةً
هَدْيَ الحَـنِـيْفَـةِ فِي قَلْبٍ وَفِي بَصَرِ

نَما...! فَكَـانَ الـفَـتَـى! أَنْـظَارُهُ عَلِقَتْ
هُنَـاكَ... بِالْكَـرْمِ، بِالسَّـاحَـاتِ بالنَّهَـرِ

بِزَقْـزَقَـاتٍ عَلَى الأَغْـصَـانِ لاغِـيَةٍ
بِجَـدْوَلٍ ضَاحِـكٍ بِالْـوَرْدِ مُؤْتَـزِرِ

بِسَـاحَـةِ المَـسْـجِـدِ الأَقْـصَـى ورابِـيَةٍ
وَمُـرْتَـقًـى مُعْـشِـبٍ مِنْهَـا وَمُـنْـحَـدَرِ

بِالْــوَحْـيِ ، بِالْـنُّـورِ، بِالـتَّــارِيخِ مِنْ حِقَبٍ
زَخَّــارَةٍ بِعَــطَاءِ الحَقِّ، بِالــسِّـيَرِ

يَهُزُّه الــشَّـــوْقُ والــتَّـحْـنَــانُ مُضْـطَربــاً
إلى حَنَــانٍ وَشَــوْق فِي الــرُّبَــى نَضِرِ

هُنَــاكَ. . . تَخْتَصِرُ الأَزْمَــانَ نَظْرَتُــهُ
وَتَــلْتَـقِــيْ عُصُرُ الـتَّــارِيخِ بِالْــعُصُرِ

هُنَــاكَ. . . أَنْــظَارُهُ ظَلَّتْ مُعَــلَّقَــةً
يُقَــلِّبُ الـطَرْفَ فِي دُنْـيَا مِنَ الــذِّكَــرِ

وَظَــهْــرُهُ لِذَوِي قُرْبَــاهُ مُنْـكَـشِـفٌ
على مَواثِـيقَ أَغْـنَـتْــهُ عَنِ الْحَــذَرِ

حَتَّــى دَوَتْ خَلْفَــهُ أَصْــدَاءُ نَازِلَــةٍ
وَأَطْــبَـقَـتْ حَوْلَــهُ مَحْمُــومَــةُ الــنُــذُرِ

هَزَّتْــهُ وَانْــتَــزَعَـتْــهُ فَاسْــتَــدَار لَهَا
مُسْــتَــبْشِراً بِقَــضَــاءِ اللهِ والْــقَــدَرِ

نَادَتْــهُ رَابِــيَةٌ مِنْ خَلْف رَابِــيَةٍ
لِمَ الْتِفَــاتَتُــكَ الْغَضْبى. . .؟ إلى خَـطَــرِ. . .

غداً سَأَلْـقَـاكِ في بُشْرَى مُعَـطَّرَةٍ
مِن الـشَّـهَـادَةِ أَوْ في زَهْـو مُنْـتَصِرِ

وعْـداً مِنَ اللهِ إِحْـدَى الْحُـسْـنَـيَيْنِ لَنَـا
وَوَعْـدُهُ الحَقُّ . . . ! جَدّ الأَمْـرُ . . . !فَانْـتَـظِرِي

وَهَـبَّ مِنْ خَيْمَـةٍ مُلْتَـاعَـةٍ وَمَـضَـى
لِخَنْـدَقٍ مائِـجٍ فِي الـدَّارِ مُضْـطَبِرِ

★ ★ ★

تَفَـجَّـرَ الحِـقْـدُ أَهْـوَالاً مُدَمِّـرَةً
تَمُورُ أَحْـشَـاؤُهَـا مَوْراً عَلَى سُعُـرِ

تُلْقِـي بِهِ حِمَمًا سوداءَ قَاتِمَـةً
وَتَـنْـجَـلِي عَنْ لَظًى فِي الـدَّارِ مُسْـتَـعِـرِ

يَطْوِي الـنَّـهَـارَ لَيَالٍ مِنْ دَوَاكِـنِهَـا
وَمِـنْ سَوَادٍ عَلَى الآفَـاقِ مُنْـتَشِرِ

وأَطْـبَـقَـتْ لُجَجُ الأَحْـقَـادِ وَانْـتَشَرَتْ
تُقِـيمُ حَوْلَـكَ مِنْ سُوْرٍ وَمِـنْ جُدُرِ

وَمَـا دَرَتْ أَنَّ عِنْـدَ اللهِ كاشِـفَـةً
لِكُـلِّ مُنْـغَـلِقٍ مِنْ كَيْدِهَـا الـقَـدَرِ

★ ★ ★

صَبَرْتَ في خَنْـدَقٍ دَامٍ تَشُــقُّ بِهِ
دَرْبًـا عَلَى صُدُقٍ للهِ أَوْ صُبُرِ

أَراعَــكَ الـطِّفْـلُ لَمْ تَدْفَـعْ براءتُــهُ
ولا ابْـتِـسَـامَـتُــهُ وَحْــشًـا مِنَ الـبَشَرِ

جَرَى لِيَلْقَـاهُ مُغْـتَرًّا بِطَلْعَـتِـهِ
يَظُنُّــهُ جَارَهُ لِلمَأْزَقِ الخَـطِرِ

«عَـمَّاهُ» مَا لَمَسَـتْ أَطْـرافَ مَرْحَمَـةٍ
ولا حَنَــانَ قريبٍ أَوْ أَخِــي حَضَرِ

فَحَــزَّهُ وَرَمَــى الأَشْــلاَءَ وَاخْـتَـلَطَتْ
مَعَ ابْـتَـسَـامَـتِـهِ أَصْـدَاءُ مُحْتَضِرِ

أَمِ الــصَّـبَـايَا إِذَا هَبَّـتْ أَوْ ابْـتَـدَرَتْ
عزائِـمًا في ظِلاَلِ الُحـسْـنِ والْخَـفَـرِ

تَصُــوغُ مَنْ حَلَبَـاتِ الْمَـجْـدِ حِلْيَتَـهَـا
وَتَـنْـتَـقِـي لليالِـيهَـا مِنَ الــدُّرَرِ

ضَفَـائِـرُ الـغَـارِ مَالَــتْ في تَمَوُّجِــهَـا
عَلَى المَـيَادِينَ ظِلًّا غَيْرَ مُنْـحَسِرِ

حَنّـتْ لَهَا خطَراتُ الـغـيد وَاضْـطَرَبَـتْ
لِذكـرِ أَمْجَـادِهَـا خَفَّـاقَـةُ الأُزُرِ

أَمِ الـثـكَـالَى وَقَـدْ أَلْـقَـتْ عَلَى غُصَص
أَفْـلاذَهَـا فَتَـلَقَّـتْ غُصَّـةَ الْخَـبرِ

أَمِ الْـيَتَـامَـى عَلَى حَدِّ الـظبَـا انْـتَشَرَتْ
أَشْـلاؤُهَـا قِطَعـاً مَوْصُـولَـةَ الـصُّـوَرِ

صَبْراً فَتَـى «الـتـلِّ» ! كَمْ أَطْـبَقْتَ مِنْ هُدُب
عَلَى شَهِـيِّ الْـمُـنَـى فِي دَرْبِـكَ الـوَعِـرِ

حَتَّـى جَلَوْتَ عَلَى الْمَـيْدَانِ صُوْرَتَهَـا
نَدِيَّةَ الـذِّكْـرِ أَوْ مُخْضَـلَّةَ الـعُـمُـرِ

كتَـائِـبَ الـغَـدْرِ! لا رَوَّيْتِ حَاقِـدَةً
مِنَ الـنُّـفُـوسِ وَلاأَشْـبَـعْـتِ مِنْ نَظَرِ

أَمَـامَـكِ «الـتَّـلُّ» رَوَّى من مشـاهِـدِهِ
طَرْفَـا يَعُـدْ خَاسِئـاً بِالـعَـارِ والـكَـدَرِ

ظَنَـنْـتِـهِ هَيِّنـاً لانَـتْ مَسَـارِبُـهُ
فَارْتَـدَّ كَالـطَّوْدِ يَرْوِي آيَةَ الـعِـبَرِ

كَمْ جَوْلَـةٍ حَشَـدَتْ فِيهَـا ظُنُـونُهُمُ
هَوْلاً مِنَ الْـكِـبْرِ عَادَتْ عَوْدَ مُنْـدَحِـرِ

تجَرَّعُـوا حَسَرَاتٍ مِنْـكَ قاتِـلَةً
وَلَـوَّعَـتْـهُـمْ لَيَالِي الـنَّـحْسِ والـنُّـكُـرِ

★ ★ ★

صَفَـائِـحَ الـزِّنْـكِ! كَمْ أَفْـنَـيْتِ قُنْـبُـلَةً
وَكَـمْ أَبَـيْتِ عَلَى الأَحْـدَاثِ والـغِـيَرِ

نَشَرْتِ مِنْ ظِلِّكِ الْـمُـمْـتَـدِّ أَجْـنِـحَـةً
تَضُـمُّ شَارِدَةَ الآمَـالِ وَالأُثُـرِ

شبَـابُـكِ الـصِّـيْدُ أَغْـنَـتْـهُـمْ خِيَامُـهُـمُ
عَنِ الْـقُـصُـورِ وعَـنِ لَهْوٍ وَعَـنْ سَمَـرِ

تَطَلَّعُـوا... فاشْرَأَبَّـتْ مِنْ تَطَلُّعِـهِـمْ
إِلى الـعُـلا أَنْـجُـمٌ مَشْـدُوهَـةُ الـنَّـظَرِ

رَأَتْ عُلاَهَـا تَدَنّـى عَنْهُـمُ وَمَـضَـوْا
إِلى عُلاً مُشْرِقٍ بالـنُّـورِ مُزْدَهِـرِ

هُنَـاكَ... ! فُتِّـحَـت الجَنَّـاتُ وَائْـتَـلَقَتْ
لَهُمْ مَقَـاعِـدُ مِنْ نُورٍ وَمِـنْ زَهَـرِ

فَأَقْبَلُوا لِنَعيمِ الخُلْدِ صادِقَةً
نُفُوسُهُمْ زُمَراً مَوْصُولَةَ الزُّمَرِ

مِنَ الأُلى صَدَرُوا عَنْ فِطْرَةٍ وَمَضَوْا
عَلَى هُدَى اللهِ مِنْ آيٍ وَمِنْ سُوَرِ

عَلَى مَدَى الدَّهْرِ كَمْ جالَتْ مَواكِبُهُمْ
مَضْفُورَةَ الغَارِ أَوْ وَهَّاجَةَ الغُرَرِ

مَواكِبَ الحَقِّ! جُوزي كُلَّ ضَائِقَةٍ
وَرَجِّعِي زَهْوَ مَجْدٍ غَيْرِ مُنْدَثِرِ

لَا تَحْزُنَنَّكِ أَرْحَامٌ إِذَا قُطِعَتْ
حِيْناً وَصَيَّرتِ الآسادَ كالهِرَرِ

لم يَحْفَظُوا العَهْدَ فَارْتَدَّتْ عَواقِبُهُمْ
إِلى مَزَالِقَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ حُفَرِ

★ ★ ★

تَجُرُّ فِي وَحْشَةِ الظَّلْمَاءِ ذِلَّتَهَا
عَلَى صَدَى نَازِفٍ مِنْ جُرْحِهَا الغَبِرِ[١]

نَهَضْتَ يَا «تَلُّ» فَانْفَضَّ الظَّلَامُ عَلَى
كَوَاكِبٍ نَثَرَتْهَا هَالَةُ القَمَرِ

---

(١) الجرح الذي لايزال ينتفض.

قَالُــوْا سَقَــطْتَ أو اسْتَسْلَمْتَ مَا صَدَقُــوا
وأَنْــتَ لُؤلُــؤَةُ الأَمْجَــادِ والــظَّفَــرِ

نِلْتَ الَّــذِي رُمْــتَــهُ، بَلْ جُزْتَــهُ شَرَفــاً
عَلَى عُلُوٍّ الــذي تَرْجُــو مِنَ الــقَــدَرِ

وَ بَاءَ غَيْرُكَ...! لَمْ يَظْفَــرْ بِمَــكْــرُمَــةٍ
تَخَطَّفَــتْــهُ الــدُّنَــايَا خَطْفَ مُهْــتَصِرِ

هَوَى وَخَــلَّفَ أَشْــلاءً مُمَزَّقَــةً
مِنَ الْمــرُوءَةِ بَيْنَ الــنَّــابِ والــظُّفُــرِ

يَهْوِي فَتَــعْــلُو، وَيَسْــتَــخْــذِي فَتَنْهَضُ مِنْ
عُلاً عَلَى وَثَــبَــاتٍ لِلعُــلاَ حُمُرِ

★ ★ ★

وَاهــاً عَلَى أُمَّــةِ الإِسْــلاَمِ صَيَّرَهَــا
حُبُّ الحَــيَاةِ غُثَــاءَ الــسَّــيْلِ والــنَّهَــرِ

مَالُــوْا إلى عَرَضِ الــدُّنْــيَا وَخُضْرَتِهَــا
وَأَدْبَــرُوا عَنْ جِهَــادٍ مُورِقٍ خَضِرِ

مُدَّتْ لَهُمْ بُسُطُ الــدُّنْــيَا مُرفَّــهَــةً
عَلَى فِرَاشٍ نَدِيٍّ الــطِّيْبِ والــسُّــتُرِ

وأســلَمُــوا لَلْعِــدَى أَعْــنَــاقَــهُــمْ ذُلُــلاً
عَلَى شِفَــارٍ تُدَمِّــيْ رَعْــشَــةَ الــخَــوَرِ

يا أُمَّــةً عَرْبَــدَتْ أَهْــوَاؤُهَــا فَجَــرَتْ
عَلَى أَعَــاصِــيرِهَــا مَجْنُــونَــةَ الــسَّــكَــرِ

مَاتَــتْ بِهِمْ هِمَمُ الأَبْــطَالِ وَانْــطَلَقَــتْ
عَلَى السُّرَى هِمَمُ الأَشْــبَــاهِ وَالــصُّــوَرِ

رَمَــتْ بِهِمْ عَنْ سُرُوجِ الــعِــزِّ أَحْــصِــنَــةٌ
وَمَــرَّغَــتْــهُــمْ عَلَى الأَوْحَــالِ والــعَــفَــرِ

★ ★ ★

مَسَــارِحَ الشَّرقِ. . . ! كَمْ أَخْــرَجْــتِ دامِــيَةً
مِنَ المَــآسِي وَكَــمْ مَوَّهْــتِ مِنْ خَبَرِ

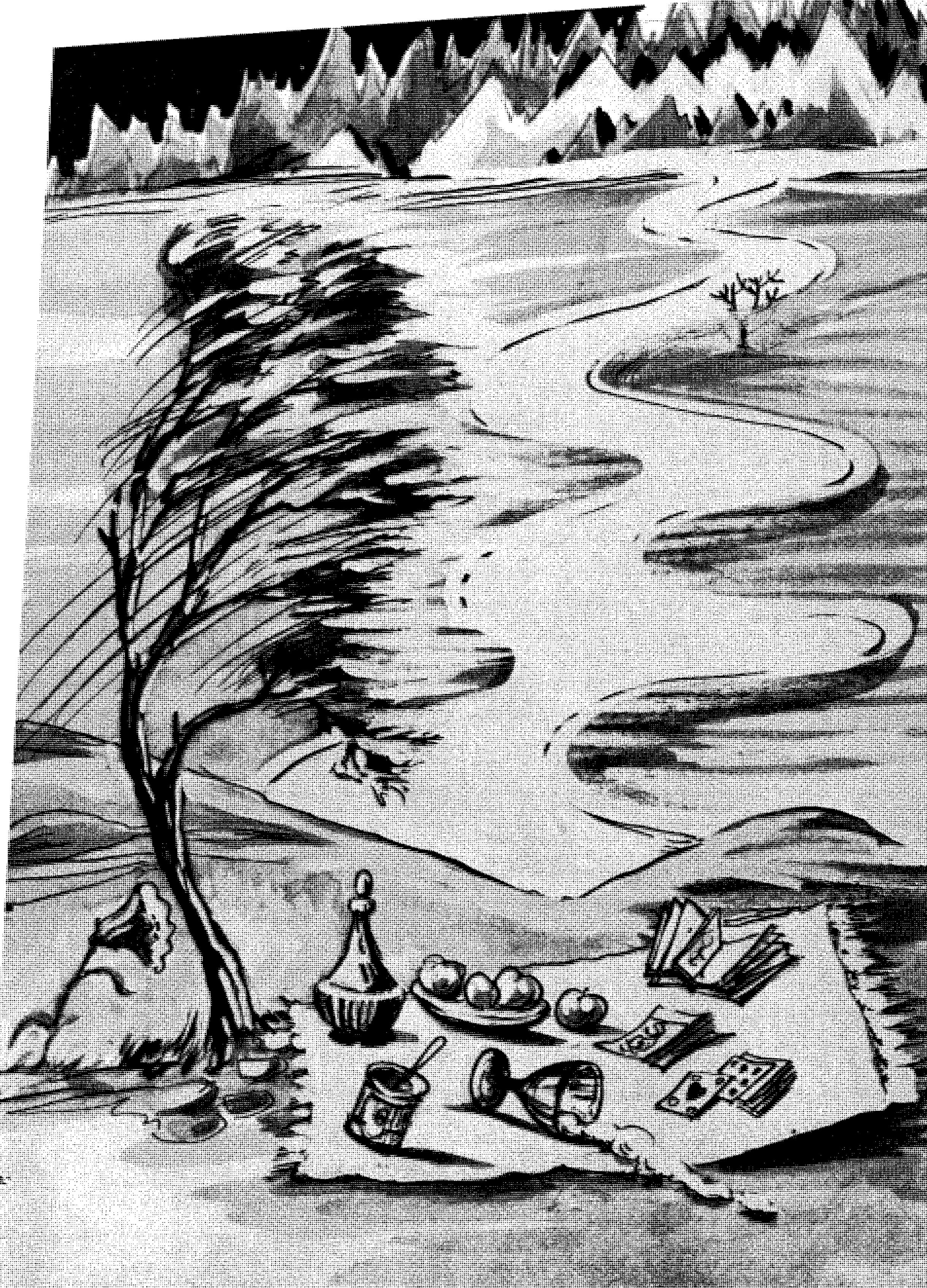
تَحَرَّكَــتْ خَلْفَــكِ الأَشْــبَــاحُ صَامِــتَــةً
وَأَنْطَقَــتْ «بَــبَــغَــاوَاتٍ» مِنَ الــبَشَرِ

وَحَــرَّكَــتْ مِنْ دُمًــى لانَــتْ عَلَى يَدِهَــا
وَدُونَهَا الــشَّــعْــبُ فِي تِيهٍ وَفِي خَدَرِ

مُصَــفِّــقــاً لِبُــطُولاتٍ مُزَيَّفَــةٍ
بِكُــلِّ لَوْنٍ مِنَ الأَلْــوَانِ مُبْــتَــكَــرِ

١٩٧٧ / ١٣٩٧

التّائهونَ



هذه الأمة المسلمة، حين غلب عليها الجهل والهوى، وضعف إيمانها، تاهت في مسالك شتى. فكأنها رجل أخذته الدروب وضيعته الوديان والنجود، بين ظلمة حالكة، وعواصف مدمّرة، وهجير قاسٍ، تخدعه الأماني الكاذبة، والنعيم الزائل. فضاعت من بين يديه كنوزه، وكذبته أحلامه.. حتى أضناه المسير، فسقط إعياءً وضياعاً، وغفا جفنه، وانطوت أحلامه وغلبه اليأس... ولكنّ أمجاده تدعوه لينهض، ونداء الحق يدعوه إلى الصراط المستقيم.

التّائهونَ

لَمَّكَ اللَّيْلُ بَعْدَ طُولِ شَتَاتٍ
وَاسْتَرَاحَتْ عَلَى الرِّمَالِ الْخُدُودُ!

وغَفَا الجَفْنُ! وانْطَوى الأُفُقُ الوَا
سِعُ والشَّوْقُ والهَوَى والجُدُودُ

واسْتَرَاحَتْ عَلَى الرُّبى قِطَعُ اللَّيْـ
ـلِ حَدِيثاً يَطْوي صَدَاهُ البِيدُ

وَاكَبَتْ خَطْوَكَ المُدَمّى فأَهْوى
بِكَ وَادٍ وَغَيَّبَتْكَ النُّجُودُ

كَلّتِ الخُـطْوَةُ المُـدَمّـاةُ بالـشَّـوْ
كِ وَعــضَّـتْ عَلَى يَدَيْكَ الـقُـيُودُ

مُغْـلَقَ الـقَـلْبِ! تَائِـهَ الـعَـيْنِ! أَعْـيَتْـ
ـكَ دُرُوبٌ وَحَـيْرَةٌ وشرُودُ

الـطَّرِيقُ الـطَّويلُ تَخْنُـقُـهُ الأَنْـ
نَةُ والـدَّمْـعُ والأَسَـى المَـمْـدُودُ

ظُلُمَاتٌ تَمُوجُ في ظُلُماتٍ
وَفَـيَافٍ تُطْوَى وَقَـرٌّ شَدِيدُ

يَرْجِـعُ الـطَرْفُ تَائِـهـاً، قَانِيَ الـقَـرْ
حِ، حَسِـيراً أَضَرَّهُ الـتَّـسْـهِـيدُ

والـرِّيَاحُ الـسَـوْدَاءُ تَقْـتَـلِعُ الأر
ضَ فتَـهْـوِي ذُرًى وقَصْرٌ مَشِـيدُ

تَدْفَـعُ الـعَـارِضَ المـدَمّـرَ إِعْـصَـا
راً فَتَـدْوِي صَواعِـقٌ وَرُعُـودُ

والـفُـؤَادُ المَـقْـرُورُ يَخْطَفُـهُ الـذُّعْـ
ـرُ فَتَـهْـوِي بِهِ الـلَّيَالي الـسُّـودُ

★ ★ ★

والهَـجِـيُرُ الـدَّامِـي عَلَى كَبِـدٍ ظَمْـ
أى وَفَـيْحٌ مِنَ الـلَّهِـيبِ شَدِيدُ

يَعْصِرُ الأَنْـفُسَ الـعِـطَاشَ فَتَـحْـني
هَامَـةَ الـذُّلِّ مِنْ لَظَاهُ الـعَـبِـيدُ

يَنْـشُـدُ الأُفْـقَ! فَالهَـوَانُ رُكَـامٌ
دُونَـهُ والـصَّـغَـارُ مِنْـهُ سُدُودُ

تَتَـلَوَّى بِكَ الـدُّرُوبُ ويَمْضِي
في مَتَـاهَـاتِـهِ الهَـوَى الـعِـرْبِـيدُ

★ ★ ★

والـشَّـيَاطِـينُ في الـنُّـفُـوسِ أَمَـانٍ
كَاذِبَـاتٌ وَفِـتْـنَـةٌ ووُعُـودُ

عُمُـرٌ ضَيَّعَـتْـهُ حُلْوُ الأَمَـاني
خُلَّبُ الـبَرْقِ والسَّرَابُ الـبَـعِـيدُ

زُخـرُفٌ يمـلأُ الـعُـيُونَ وَدُنْـيَا
أَزْهَـرَتْ عِنْـدَهَـا وَرَفَّـتْ وُرُودُ

والـرُّبَـى! والـقُـصُـورُ! والـنَّهَـرُ الجـا
رِيْ! وَظِـلٌّ عَلَى الـضِّـفَـافِ وَغِـيْدُ

والـفِـراشُ الـوَثِـيرُ! وَالـنَّـغَـمُ الـصَّـا
خِبُ! والـلَّيْلُ! والهَـوَى المَـنْـشُـودُ!

عَالَمٌ نَاعِـمٌ رَخِـيّ الأَمَـاني
مُخْمَـلِّي الأَلْـوَان! دِفءٌ وَجُـودُ!

شَهَـواتُ الـفُـجُـور! عَرْبَـدَةُ المَـخْـ
مُورِ! والـكَـأْسُ والـرَّفِـيقُ الـوَدُودُ!

عَصَـفَـتْ بالـرُّؤُوس عَاصِـفَـةُ الخَمْـ
ـرِ، وَجَـفْـنٌ وَهَمْـسَـةٌ وَقُـدُودُ

ماتَ فيهـا الحَـيَاءُ والشَّرَفُ الـدَّا
مِي ، وَمَـاتَـتْ رُجُـولَـةٌ وَعـهُـودُ

يَكْـشِـفُ الـصُّـبْـحُ عَنْ بَقِـيَّةِ إِنْـسَـا
نٍ تردَّى بِهِ المَـكَـانُ الـبَـعِـيدُ

وَحُـطَامٍ مِنَ المـرُوءَةِ مُلْقًـى
وَعَـبِـيدٍ بَكَـتْ عَلَيْهَـا الـعَـبِـيدُ

★ ★ ★

كُنْـتَ في غَفْـوَةٍ! فَذَلَّ بكَ الأَهْـ
ـلُ، وَضَـاعَـتْ منَـازِلٌ وحُـدُودُ

أَسْلَمَتْ نَفْسُكَ الرَّخِيصَةُ كَنْزاً
غَالِياً لم تَصُنْهُ مِنْكَ الجُهُودُ

وَاسْتَبَاحَ العِدَى حماكَ! وَدَاسُو
كَ! ومَرّتْ عَلَى الحُطَامِ قُرُودُ

لَوَّثُوا الأَرْضَ والهَوَاءَ وَضَاعَتْ
مِنْ يَدَيْكَ المُنَى وتِلْكَ الوُعُودُ

صَوَّحَ الرَّوْضُ! فالزُّهورُ التي عطْ
طَرَت الأمسَ جَفَّ مِنْهَا العُودُ

وَشَهِيُّ الأَلْوَانِ، والنَّسْمَةُ الحُلْ
وَةُ، والمَرْجُ، والرُّبَى والنُّجُودُ

وَهَدِيلُ الحَمامِ غَابَ وَرَاءَ الأُفْ
قِ يَطْوِي أَحْزَانَهُ وَيُعِيْدُ

والعَصَافِيرُ! أَيْنَ أَعْشَاشُهَا الخُضْ
رُ وَغُصْنٌ وَظِلُّهُ المَمْدُودُ؟

عَانَقَتْ فَجْرَهَا الأَخِيرَ وَغَابَتْ
وَصَدَاهَا عَلى الزَّمَانِ جَدِيدُ

سَقَــطَتْ دَمْــعَــةٌ! فَرَوّى بِهَا الــفَــجْـ
ـرُ دُرُوبًــا وَلاَنَ مِنْهَــا الحَــدِيدُ

حَسَرَاتُ الــنُّــزُوحِ، والجَــدْوَلُ الــمُــلْـ
تاعُ أَلحَــانُــهُ نِدَاءٌ بَعــيِدُ

رَجَّــعَــتْــهَــا الآفَــاقُ والــشَّــجَــرُ الــوا
رِفُ والــدَّارُ: «فِي غَــدٍ سَنَــعُــودُ» !

* * *

وَضِــفَــافٌ كَانَــتْ تَمُوجُ مَعَ الــنُّــوْ
رِ وَكَــانَــتْ بِالَمــكْــرُمَــاتِ تَجُودُ

بَدَّلَ المــكْــرُ مِنْ مَلاَمِحِــهَــا الــسُّــمْـ
ـرِ وَمِــنْ بِشْرِهَــا الأَسَــى المــشْــهُــودُ

أَيْنَ إِشْرَاقَــةُ الإِبَــاءِ وَزَهْــوُ الــ
حَقِّ والــغَــارُ حَوْلَــهُ مَعْــقُــودُ

وَالــدُّنَــا خَفْــقَــةُ الأَمَــانِيْ لَدَيْهَــا
إِنْ رَنَــا الــطَّرْفُ أَوْ تَلَفَّــتَ جِيدُ

لَفَــتَــاتُ الإِيمَانِ نُوْرُ دُرُوبٍ
والــقِــلاَعُ الــشَّــمَّاءُ تِلْكَ الــزُّنُــودُ

* * *

كُنْـتَ فِي سكْـرَةِ الـغَـوَايَـةِ، فِي الـتِّـيـ
ـهِ! وهـذا الـضَّـيَاعُ والـتَّشْرِيدُ

قد أَحَـاطَـتْ بكَ الخَـطَايَا وأَلْـقَـى
بِكَ شَيْطَانُهَا الـعَـتِيّ المَـرِيدُ

كُلُّ أَوْثَـانِـكَ الـتي كنْـتَ تَجْثُـو
عِنْـدَهَـا ضَارِعًـا وَتِـلْكَ الحُـشُـودُ

وَالـقَـرَابِـينُ، وَارْتِـعَـاشَـةُ ذُلٍّ
ودُمُـوعُ الـرَّجَـاءِ والـتَّرْدِيدُ

قُمْ إلى المَـجْـدِ! لا تَدَعْ هَذِهِ الـدَّا
رَ عَلَى الـذُّلِّ! فَمَا هَواهَـا الـقُـعُـودُ

الـرِّمَـالُ الحَـمْـرَاءُ أَصْـدَاءُ وَحْـيٍ
والـرَّوابِيْ الخَضْرَاءُ مَجْدٌ تَلِيدُ

لَمْ تَزَلْ فِي رُبَـاكَ مِئْـذَنَـةُ الحـقْـ
ـقِ وَمَـا زَالَ فِي رُبُـوعِـكَ صِيدُ

والمَـيَادِينُ لَمْ تَزَلْ تَهَبُ الـعُـمْـ
ـرَ شَهِـيدٌ يَمْـضِي إلَـيْهِ شَهِـيدُ

قُمْ وَعَـانِـقْ عَلَى آنـتِـفَـاضَـتِـهَـا الْمَجْـ
ـدَ يُعَـانِـقْ جِرَاحَـكَ الـتَّـضْـمِـيدُ

وِنِـدَاءٌ له على الأُفُـقِ الْمُـغْـ
بَرِّ قَرْعٌ وَفِي الـرُّبـى تَرْدِيدُ

نَفَـحَـاتُ الـسَّـمَاءِ أَنْـدَاءُ وَحْـيٍ
فَجَّـرَتْـهَـا عَلَى الـشِّـفَـاهِ كبُـودُ

★ ★ ★

سَيَعُـودُ الحَـمَامُ يَلْتَـقِطُ الحَـبْـ
ـبَ وَيَلْقَـاهُ سَاحُـهُ الـغِـرِّيدُ

وَيَعُـودُ الـعُـصْـفُـورُ، زَقْـزَقَـةُ الـفَـجْـ
ـرِ تُنَـادِيه، والهَـزَارُ الـسَّـعِـيدُ

هَمَسَـاتُ الحُـقُـولِ، وَشْـوَشَـةُ الـدَّوْ
حِ نَدِيُّ الـثِّـمَارِ والـعُـنْـقُـودُ

والـتَـقَـتْ دَمْـعَـتَـان. . .! في مَوْكِـب الـفَجْـ
ـرِ قَصِـيدٌ مُرَجَّـعٌ وَنَـشِـيدُ

★ ★ ★

حُلُمٌ مَرَّ والأَمَـانِيْ تَوَلَّـتْ
وإذَا الحَـقُّ بعـدَهُـنَّ خُلُودُ. . .!

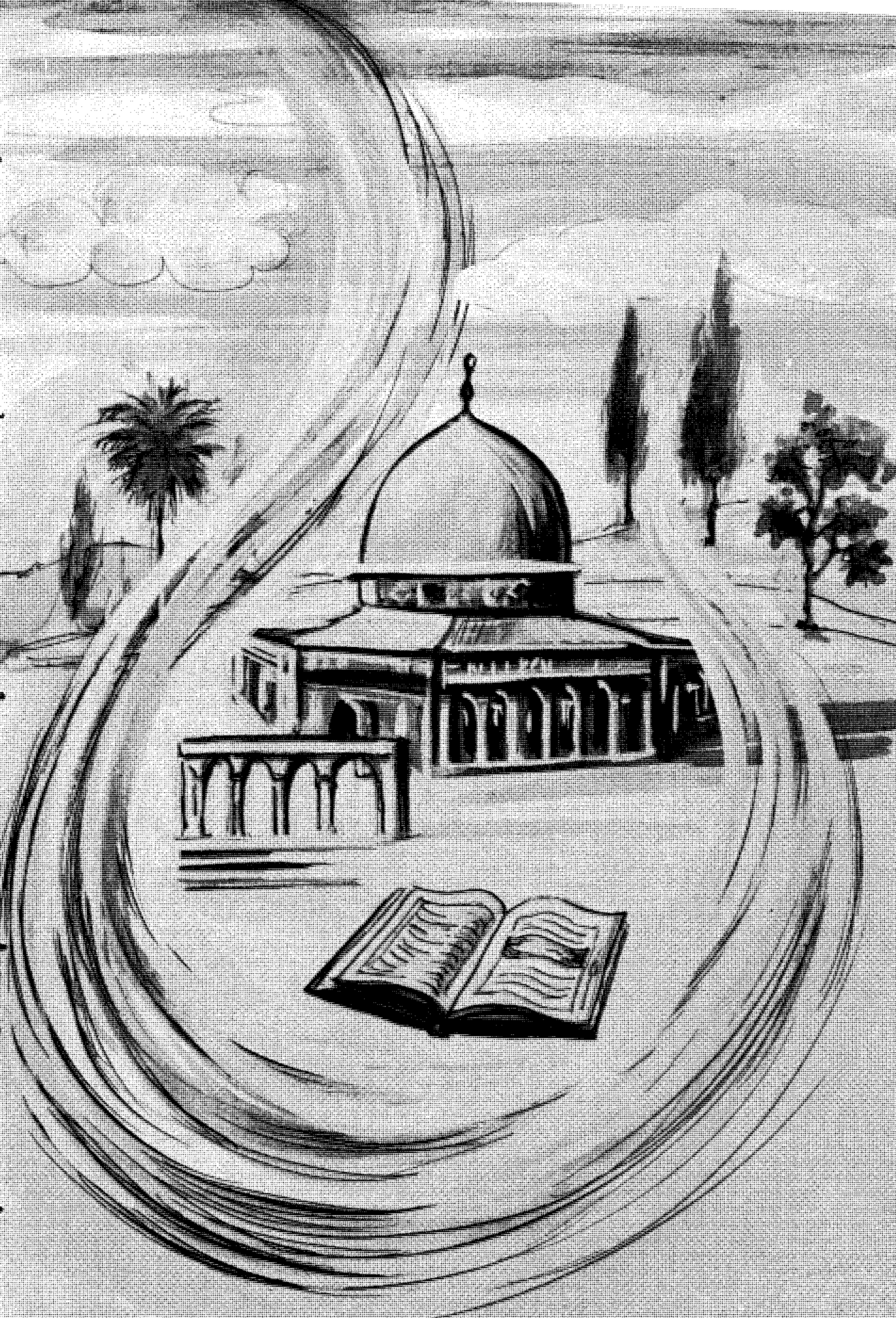
فَالـشَّـقِـيُّ الَّـذِي تَوَلَّى شَقِـيٌّ
والـسَّـعِـيدُ الَّـذِي أَنَـابَ سَعِـيدُ

فَنَـعِـيمٌ لِلْمُـحْـسِـنِـينَ مُقِـيْمٌ
وعَـذَابٌ للمُـجْـرِمِـينَ شَدِيدُ

★ ★ ★

١٣٩٧/١١/٨
١٩٧٧/١١/٢٠

رُؤى الأقصَى



كنتُ نظمتُ المقاطع الأولى بحدود عام ١٩٤٧ حين غادر الكلية العربية بالقدس أحد الزملاء إلى بيروت. ثم عدت إلى هذه الأبيات مؤخراً عام ١٩٧٨ في الرياض فأتممتها على ضوء الأحداث التي كانت تمر بها قضية فلسطين.

رُؤى الأقصى

رُوَيْدَكَ . . ! قُمْ وَقَاسِمْنَا الأَنِينَا
هَلُمَّ وَدَعْ جَهَالَةَ جَاهِلِينَا

وَدَعْ عَنْكَ الغَوَايَةَ وَاطَّرِحْهَا
وَدَعْ فِتَنًا أَثَرْنَ بِكَ الفُتُونَا

فَمَا خَبَرُ الكَواعِبِ والغَوَانِي
إِذَا مِلْنَ الشِّمَالَ أَوِ اليَمِينَا

تَقُولُ لِعَاتِبٍ : مَهْلاً فَإِنِّي
أُصَارِعُ تَارَةً وَأَلِينُ حِينَا

وَكَمْ مِنْ نَاهِدٍ حَوْلِي تَرَاهَا
تَوَدُّ لَوِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُعِينَا

شِبَــاكٌ ما لهنَّ يَدٌ عَلَيْهَــا
سِهَــامٌ لَمْ يكُــنَّ الُمـطْلِقِيـنـا

سَرَحْــنَ مَعَ الَحـيَاةِ شِبَــاكَ صَيْدٍ
وَمِــلْنَ فَكُــنَّ سَهْــمًا رِيْش فِيْنَــا

★ ★ ★

فَيَا بَيُروتُ... مَوْحــى الــشِّـعْــر.. غَــنِّيْ
هَوَاهُ وَلَهْــوَهُ نَغَــمًا حَزِيْنــا

تَرَكْــتِ لَهُ عِنَــانَ الــلَّهْــو رَخْــواً
يَتِــيْهُ عَلَى عَواصِــفِــهِ جُنُــونَــا

فَتَــطْوِيه كَمَا يَطْويْ خِضَــمٌّ
ـ إذَا اضــطَّرَبَ الــعُــبَــابُ بِهِ ـ سَفِــيْنَــا

ظِلاَلَ الأَرْزِ قُصِيٌّ عَنْ هَوَاهُ
وَعَــنْ خَبَرِ الــغَــوَاني حَدِّثِــيْنَــا

يَمِــيْلُ عَنِ الــدُّرُوس وَيَزْدَرِيهــا
وَيَرْغَــبُ جَاهِــداً أَنْ لاَ تكُــوْنَــا

إذَا ذَكَــرُوا الــكِــتَــابَ يَقُــوْلُ : «عَــنِّي»
وَإِنْ ذَكَــرُوا الَمــلاَهِــيَ قَالَ : «جِــينَــا»

★ ★ ★

أَتَــذْكُــرُ كَيْفَ كُنْــتَ أَسِــيْرَ سِجْــنٍ
يُبَــعْــثِــرُ رَبُّــهُ فِيهِ الــعُــيُوْنَــا

كَسَرْتَ قُيُودَهُــمْ وعَــبِــثْــتَ فِيهَــا
وَبِــتْــنَــا في الــسُّــجُــونَ مُقَــيَّدِيْنَــا

نَدُقُّ جِدَارَهَــا دَقًّــا لِنَــمْضِيْ
لِمُعْــتَرَكِ الــشَّــبَــابِ الْمُــؤْمِــنِــيْنَــا

هُنَــالِــكَ أَحْــكَــمُــوا قَيْداً عَلَيْنَــا
وَرَدُّوا حَوْلَ صَرْخَــتِــنَــا الــسُّــجُــونَــا

مَعَــاهِــدُ لَمْ تَقُــمْ إِلَّا لِتَــبْــنِيْ
شَبَــابَ عَقِــيْدَةٍ مُتَــوَثِّــبِــيْنَــا

إِذَا مَا الــدَّارُ مَزَّقَــهَــا ذِئَــابٌ
وَأَضْــحَــتْ نُهْبَــةً لِلنَّــاهِــبِــيْنَــا

فَمَا تَغْــفُــو عُيُونٌ عَنْ حِمَاهَــا
وَلَا تَرْضَــى عَلَى الْهَــيْجَــاءِ هُوْنَــا

وَلَــوْلَا «الإِنْــتِــدَابُ» جَثَــا عَلَيْنَــا
وَخُــلْــفٌ مَزَّقَ الــمُــتَــخَــاصِــمِــيْنَــا

لمَا عضَّــتْ قُيُودُهُـمُ عَلَيْنَـا
وَلاَ حَوَتِ الــسُّـجُـونُ بِهَا سَجِـيْنَـا

★ ★ ★

رُوَيْدَكَ... دَعْ هَوَى دَعْـدٍ وَهِـنْـدٍ
وَهُــبَّ وأَنْــجِـدِ الـطَّلَلَ الحَـزِيْنَـا

وَدَاراً بَارَكَ الــرَّحْمَــنُ فِيْهَــا
تَمُدُّ بِفَــيْضِ رَحْمَــتِـهِ الــسِّـنِـيْنَـا

رُبَــى الأَقْــصَــى فَدَيْتُــكِ مِنْ جِراحٍ
حَمَلْتِ عَلَى الــزَّمَـانِ بِهَا الــشُّـجُـونَـا

مَرابِــعُ كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهَــا
عُصُــورٌ طَأْطَـأَتْ وَحَـنَـتْ جَبِـيْنَـا

وَأَلْــقَــتْ فِي رَوَابِــيْهَــا غِرَاسـاً
وَرَوَّتْ سَهْــلَهَــا وَسَــقَــتْ حُزُوْنَــا

فَتَــحْــمِــلُ مِنْ دَمِ الــشُّـهَــدَاءِ مِسْـكـاً
وَتَــنْشُرُ مِنْ ظِلاَلِ الــوَحْــيِ دِيْنَــا

★ ★ ★

وَقَــفْــتِ عَلَى رُبُــوعِ الشَّرْقِ بَابــاً
يَصُــدُّ عَنِ الــرُّبُـوعِ الْمُـعْـتَـدِيْنَـا

حِمىً لِلْحَــقِّ والإِيمَانِ تَبْــنِيْ
بِبَــذْلِــكِ دُونَــهُ حِصْنَــا حَصِــيْنَــا

شَمَــخْــتِ عَلَى الــرَّزَايَا فَاسْــتَــذَلَّــتْ
أَمَــامَــكِ زَهْــوَةُ الْمُــتَــكَــبِّرِيْنَــا

تَظَلُّ يَدُ الــشُّــعُــوبِ تَدُقُّ فيه
لِتَــفْــتَــحَ دُونَــهُ فَتْــقاً مُهِــيْنَــا

وَتَخْــرِقَ مِنْ سِياجِ الحَــقِّ خَرْقَــا
يُمَــزِّقُ شَمْــلَهَــا مَزْقَــا وَهُــوْنَــا

فَتَــنْهَــبَ مِنْــهُ خَيْراتٍ حِسَــانَــاً
وَوُدْيَانَــا جَرتْ رَغَــدًا وَلِــيْنَــا

وَأَفْــيَاءً حَمَلْنَ بِهَا ثِمَاراً
مُبَــارَكَــةً وَفِــضْــنَ بِهَا عُيُونَــا

وَتَــارِيخَــاً يَفُضُّ بِراحَــتَــيْهِ
لآلِىءَ تَنْشُرُ الــوَهْــجَ الْمُــبِــيْنَــا

وَأَمْجَــادَ الــنُّــبُــوَّةِ زاهِــيَاتٍ
يَصِــلْنَ عَلَى مَرَابِــعِــهَــا الــقُــرُوْنَــا

★ ★ ★

فَوَا عَجَباً إِذَا اخْتَلَفَتْ شُعُوبٌ
إِلَيْكِ وَلَمْ تَجِدْ فِيْكِ القَرِيْنَا

أَلَيْسَ هُنَاكَ فِيْ السَّاحَاتِ صِيْدٌ
إِذَا انْتَفَضُوا مَضَوْا مُتَعَطِّشِيْنَا

جُنُوْدُ مُحَمَّدٍ سَتَهُبُّ تُوفِي
بِعَهْدٍ صَادِقٍ للهِ فِيْنَا

إِذَا وَثَبُوا إِلى العَلْيَاءِ شَقُّوْا
بِوَمْضِ نِصَالِهِمْ سُحُبًا وَجُوْنَا

أَزَاحُوْهَا عَلَى سُرُجِ الضَّحَايَا
تَقُودُ بِنُورِ وَقْدَتِهَا البَنِيْنَا

★ ★ ★

رُبَى الأَقْصَى طُيُوفُكِ ذِكْرَيَاتٌ
خَشَعْتُ أَمَامَهَا دَمْعًا هَتُونًا

خَشَعْتُ وَقَلْبِيَ الوَثَّابُ فِيهَا
يُدَمِّي فِي تَلَفُّتِهِ الحَنِيْنَا

مَدَدْتُ يَدِي عَلَى حُلُمِي لأَلْقَى
مُحَيَّاكِ المُنَوَّرَ والجَبِيْنَا

رَجَعْتُ وَمِنْكِ فِي كَفِّيَّ دَمْعٌ
وَفِي أُذُنَيَّ أَسْتَرِقُ الأَنِيْنَا

* * *

وَأُصْغِي عَلَّ أَصْدَاءَ اللَّيَالي
تُعِيدُ خُطى سَرَاةِ الأَوَّلِيْنَا

مُضَمَّخَةً عَلَى طِيْبٍ مُنَدَّى
يَذُوبُ عَلَيْهِ نَفْحُ المُرْسَلِيْنَا

وأُصْغِي . . . ! فالضجيجُ عَلاَ وأَدْمَى
لَهَاةَ الضَّائِعينَ الحائِرِيْنَا

ضَجِيجُ الجَاهِلِينَ إِذَا اسْتُذِلُّوا
وَأَهْوَاءُ العُتَاةِ الظَّالِمِيْنَا

طَغَى فَوْقَ الأَمَانِيْ واسْتَبَاحَتْ
حَنَاجِرُهُ المَحَارِمَ وَالعَرِيْنَا

عَلَى صَيْحَاتِهِ خَدَرٌ وَتِيْهٌ
تُبَحُّ بِهِ حُلُوقُ الهَاتِفِيْنَا

يَمُوتُ بِهَا صَدَى حُلُمِيْ وَيَبْقَى
عَلَى الأَشْلاَءِ هَمْسُ الصَّابِرِيْنَا

سَيَنْــفَــجِــرُ الــصَّــدَى يَوْمــاً وَيطْوي
عَلَى أَمْــوَاجِــهِ المــتَــجَــبِّرِيْنَــا

وَيَنْــحَسِرُ الــضَّــجِــيجُ عَلَى سِنَــانٍ
رَجَــعْــنَ عَلَى تَلاحُمِــهَــا الــرَّنِــيْنَــا

تَرَى الــفُــرْسَــانَ فِي اَلمَــيْدان خُرْســاً
سوى زَنْــدٍ يَسُــوقُ بِهَا اَلمَــنُــونَــا

وتَــكْــبِــيْرٍ عَلَى الأَفْــوَاهِ يُنْــدِيْ
عَلَى فَرَحَــاتِهَــا الــنَّصْرَ اُلمــبِــيْنَــا

هُنَــالِــكَ تَخْشَــعُ الــدُّنْــيَا وَتُــصْــغِــي
لآيَاتٍ بِسَــاحَــتِــهَــا تُلِيْنَــا

رُبَــى الأَقْــصَــى، فَدَيْتُــكِ، أَيُّ طَيْفٍ
أَلَمَّ وَلَمْ يَكُــنْ طَيْفًــا حَنُــونَــا

خُطَى مُوسَــى عَلَى ثَبَــجِ الــصَّــحَــارَى
تَشُــقُّ عَنِ الــرِّمَــالِ هَوىً دَفِــينــا

هَوَىً تَتَــفَــتَّــحُ الأَكْــمَامُ مِنْــهُ
وَتَــنْــفَــحُ مِنْ بَشَــائِــرِهِ الــيَقِــيْنَــا

دُعَــاءَ أَبِــيْهِ إِبْــرَاهِــيمَ بُشْرَى
يُرَجّــعُ مِنْ صَدَاهَــا الْمُــرْسَــلُونَــا

تَفُضُّ عَلَى شُفُــوْفِ الْــغَــيْبِ مَسْرَى
لأَحْمَــدَ يَأْخُــذُ الْــعَــهْــدَ الأَمِــيْنَــا

★ ★ ★

يَؤُمُّــهُــمُ بِسَــاحِــكِ ثُمَّ يَمْضِي
يَشُــقُّ بُرَاقُــهُ سَقْــفًــا مَتِــيْنَــا

دَنَــا شَوْقًــا فَمَاجَ مَطَافُ نُوْرٍ
يَرِقُّ بِهِ خُشُــوعُ الْخَــاشِــعِــيْنَــا

وَفُــتِّــحَــتِ الْــغُــيُوبُ لِنَــاظِــرِيَهْ
وآيَاتٌ جَرَتْ دُنْــيَا وَدِيْنَــا

★ ★ ★

خُطَى مُوسَــى عَلَى الْــصَّــحْــرَاءِ لَجَّتْ
وَحَــرِكَّــتِ الْــلواعِــجَ وَالْحَــنِــيْنَــا

هَوَى الإِسْــلَامِ لِلأَقْــصَــى نَدِيّ
فَطِيْبِــيْ وَانْــعَــمِــي صَحْــرَاءَ سِيْنَــا

فَهَــبَّ بِقَــوْمِــهِ مُوْسَــى وَنَــادَى
فَأَجْــفَــلَ دُونَــهُ الْمُــتَــقَــاعِــسُــونَــا

وَقَـــالُــوا إنَّ جَبَّـــارِيْنَ فِيهَـــا
وَإِنَّـــا حَيْثُ تَنْــظُرُ قَاعِـــدُونَـــا

فَأَنْـــتَ وَرَبُّـــكَ الجَــبَّـــارُ قُوْمَـــا
إلَـــيهـــم واقْــحَــمَا الــسَّـــاحَ الحَـــصِــيْنَـــا

فَإِمَّـــا يَخْرُجُـــوْنَ عَلَى سَلَامٍ
فَنَـــدْخُـــلُ عِنْـــدَ ذَلِـــكَ آمِـــنِـــيْنَـــا

هُنَـــالِـــكَ مُزِّقُـــوا مِزَقًـــا وَتَـــاهُـــوا
عَلَى عِصْـــيَانِهِمْ ذُلًّا مُهِـــيْنَـــا

أَبَـــتْ سَاحَـــاتُـــكَ الجُـــبَـــنَـــاءَ دَوْمًـــا
وَتَـــأْبَـــى الْـــمُجْـــرِمِـــينَ الـــظَّالِـــمِـــيْنَـــا

سَتَـــلْفُـــظُهُـــمْ إذَا فَسَـــقُـــوْا وَهَـــانُـــوا
وَتَـــطْحَـــنُهُـــمْ إذَا كَفَـــرُوا طَحِـــيْنَـــا

نَدَاكِ يَظَلُّ لِلإِسْـــلَامِ مَغْـــنَـــى
وَعِـــطْرُكِ ظَلَّ نَفْـــحَ الْـــمُـــؤْمِـــنِـــيْنَـــا

★ ★ ★

أَلَـــسْـــتِ عَلَى هُدَى الإِسْـــلَامِ نَايًا
يُرَجِّـــعُ فِيكِ آيَاتٍ وَدِيْنَـــا

عَلَى مِزْمَـار دَاوُدَ الـلَّيَالِيْ
يَمُـوجُ خُشُـوعُـهَـا رَهَـبًـا وَلِـيْنَـا

وَتَجْـرِيْ مِنْ «سُـلَيْمَانَ» الـغَـوَالِي
بَيَانَ نُبُـوَّةٍ قَطَعَ الـظُّنُـونَـا

تَمُرُّ يَدُ «المَـسِـيح» على الـرَّوَابي
لِتَـمْـسَـحَ مِنْـكِ جَرْحَـكِ وَالجُـفُـوْنَـا

جَمَعْـتِ بِسَـيِّدِ الـرُّسُـلِ الأَمَـانِي
وَبِـالْـقُـرْآنِ ذِكْـراً مُسْـتَـبِـيْنَـا

وَشَـعَّـتْ كُلُّ رَابِـيَةٍ وَفَـضَّـت
عَلَى لأَلاَئِـهَـا الـكَـنْـزَ الـثَّـمِـيْنَـا

أُولَئِـكَ لَيْسَ مِنْ نَسَـبٍ إِلَـيْهِـمْ
وَلَا رَحِـمٍ يَشُـدُّ الْمـدَّعِـيْنَـا

سِوَى الإِسْـلَام آصِرَةً وَقُـرْبَـى
يُوَثِّـقُ مِنْ عُرَاهَـا الْمُـؤْمِـنُـوْنَـا

فَوَا عَجَـبًـا لِمَنْ مُسِـخُـوا قُرُوداً
جَزَاءَ الْـكَـافِـرِيْنَ الْمـعْـتَـدِيْنَـا

وَمَــنْ عَبَــدُوا عَلَى الأَهْــوَاءِ عِجْــلاً
عَلَى دَنَسِ الــضَّـلالَــةِ مُبْــلِســيْنَــا

فَثَــمَّ عَمُــواً وَصَــمُّــوا وَاسْــتَــحَــلّوا
دِمَــاءَ الأَنْــبِــيَاءِ الْمُــقْــسِــطِيْنَــا

وَمَــا تَركُــوا عَلَى الأَيَّام شَرّاً
وَمَــا حَفِــظُوا لِعَــهْــدِهِــمُ يَمِــيْنَــا

أَيَزْعُــمُ هَؤُلاَءِ إِلَــيْكِ قُرْبَــى
رُبَى الأَقْــصَــى.... ! بَرِئْتِ وَطِبْتِ دِيْنَــا

وَطِــبْــتِ رُبَــى وَسَــاحَــاتٍ وَدَاراً
وأَنْــسَــامــاً جَرَيْنَ هَوًى وَلِــيْنَــا

وَشُــطْآنــاً نَثَــرْنَ عَلَى يَدَيْهَــا
لآلِئَــهَــا وَزَيَّنَّ الْجَــبِــيْنَــا

ووُدْياً نا جَمَعْــنَ لَهَا عُقُــوداً
وَفَــتَّــقْــنَ الــشَّــذَا والــيَاســمِــيْنَــا

كَأَنَّ عَلَى مَبَــاسِــمِــهَــا دُعَــاءً
وَتُــغْضِي فِي تَبَــتُّــلِهَــا الْجُــفُــوْنَــا

إلٰهي . . . أيْنَ أبْنائي وَقَوْمي
وَمَنْ رَفَعُوا عَلَى شُرُفٍ حُصُونَا

مَشَاعِلُهَا مِنَ الإِيْمَانِ وَقْدٌ
أَضَاءُوا دُونَهَا الدَّرْبَ الأَمِيْنَا

سَأَنْتَظِرُ اللَّيَالِي لاَ أُبَالِي
لأَلْقَى فِيهِمُ النَّصْرَ المُبِيْنَا

يَظَلُّ صَدًى مِنَ الإِسْرَاءِ عَهْداً
يُحَرِّكُ بَيْنَ أَضْلُعِيَ الحَنِيْنَا

١٩٧٨

★ ★ ★

مَوكبُ النور



خوَّفوه من الأحداث والنوائب وأغروه بالزخرف وعرض الدنيا فسار في موكب النور، فذهب خوفه، واطمأنّت نفسه، ورضي قلبه.

مَوكبُ النور

رَوِّعِيْهِ مَا شِئْتِ أَوْ فَدَعِيْهِ
لَمْ يَزَلْ مُمْسِكًا بِحَبْلٍ مَتِينِ

مَا قَسَا قَلْبُهُ وَلَكِنْ لَدَيْه
دَمْعَةٌ لَمْ تَجِفَّ بَيْنَ الجُفُونِ

خَشْيَةٌ فِي الفُؤَادِ تَعْصِرُ دَمْعًا
ذَوَّبَتْهُ عَلَى مَطَافِ الحَنِينِ

رَقَّ فِي خَشْيَةٍ فَفَاضَتْ عَلَيْه
رَحْمَةُ اللهِ فِي حِمًى مَأْمُونِ

★ ★ ★

عَجَبًا أَنْ تَرَى مَعَ الخَوْفِ أَمْنًا
وَمَعَ اللَّيْلِ شُعْلَةً مِنْ يَقِينِ

وَعَــلَى الــشَّــوْكِ نَفْــحَــةً مِنْ نَدَى الــصُّبْـ
ـحِ وَمِــنْ رِقَّــةٍ عَلَيْهِ وَلِــينِ

وَعَــلى غَبْرَةِ الــشِّــفَــاهِ ابْــتِـسَــامــاً
وَعَــلى قَرْحِــهِ رِضَــاءَ الــعُــيُونِ

وَعَــلى الجُــرْحِ رَفْــرَفَــاتِ نَسِــيم
ذَوَّبَتْ في نَدَاهُ رَجْــعَ الأَنِــينِ

ذَاكَ لِلْمُــؤْمِــنِ الَّــذِي صَحَّ مِنْــهُ
قَلْبُــهُ أَوْ مَضَــى بِعَــزْمٍ أَمِــينِ

★ ★ ★

كُلَّمَا أَقْــبَــلَ الــدُّجَــى وَطَــوَاهُ
أَشْرَقَــتْ مِنْــهُ لَفْــتَــةٌ مِنْ جَبِــينِ

أَوْ أَحَــاطَــتْ بِهِ الْمُــلِمَّاتُ يَوْمــاً
وَثَــبَــتَ مِنْــهُ عَزْمَــةٌ مِنْ دِينِ

وَانْــتَــضَــى نَصْــلَهُ، فَأَهْــوَى، فَوَلَّــتْ
مُدْبِــرَاتٍ مُجَلْجِــلَاتُ الــقُــرُونِ

وَتَــنَــاءَتْ وَرَاءَهُ قِطَعُ الــلَّيْـ
ـلِ وَغَــابَــتْ بَقِــيَّةٌ مِنْ ظُنُــوْنِ

وَتَخَــطَّى الـذُّرَى وَنَــادَى رُوَيْداً
أَقْــبِـلِي يَا صِعَــابُ أَوْ لَا تكُــونِي

دَرْبِيَ الحَــقُّ...! حَيْثُمَا سِرْتُ أَلْـقَـى
قَبَـسًــا شَعَّ أَوْ هُدًى بِيَمِــينِي

مَا حَنَــيْتُ الجَبِــيْنَ إِلَّا رُكُــوعــاً
وُسَــجُــوداً للهِ فَهْــوَ يَقِــينِي

★ ★ ★

فِي خُشُــوعِ الــدُّجَــى عَرَفْــتُــكَ يَارَبْ
بُ، وَفِي نَجْـمِـهِ، وَفَــيْضِ الــسُكُــونِ

جَلَّ فِي صَمْــتِــهِ فَكَــانَ بَيَانَــا
فِي قُلُوبٍ وَعَــتْــهُ أَوْ فِي جُفُــونِ

هَذَا الــنَّــاسُ... غَيْرَ قَــلْبٍ شَجِــيٍّ
هَبَّ مِنْ لَهْفَــةٍ وَشَــوْقٍ دَفِــينِ

مَدَّ كَفَّــيْهِ فِي ثَنَــايَا الــلَّيَالِي
رَعَــشَــاتٍ مُبَــلَّلَاتِ الــحَنِينِ

وَهَــبَــتْ لِلنُّــجُــوم رَعْــشَــةَ شَوقٍ
وَأَعَــارَتْ لَهَا انْــفِــلَاتَ الــشُّــجُــونِ

فِي شُعَاعٍ يَمُوجُ بَيْنَ ثَنَايَا
هُ رَفِيفُ مِنَ الدُّعَاءِ الحَزِينِ

★ ★ ★

أَيُّهَا النَّجْمُ مَنْ رَعَاكَ عَلَى الأُفْـ
ـقِ وألقَاكَ في مَسَارٍ مَكِينِ

فَلَكٌ... ! كَمْ جَرَيْتَ فِيهِ لِتَمْضِي
سَابِحًا فِي دَقَائِقِ التَّكْوِينِ

أَيْنَ تَمْضِي... ! وَأَنْتَ تَسْجُدُ للـ
ـهِ خُشُوعًا عَلَى هُدَاهُ الْمُبِينِ

كَمْ مَضَى... ! كَمْ تُرَاهُ بَعْدُ تبَقَّى...
أَيْنَ يا نَجْمُ مُسْتَقَرُّ السَّفِينِ

قَدَرٌ غَالِبٌ مِنَ اللهِ يُمْضِي
بِهُدَاهُ دَقَائِقًا مِنْ شُئُوْنِ

★ ★ ★

كَمْ مِنَ النَّاس لَمْ يَرَوا فِيكَ إِلَّا
صَخْرَةً أَظْلَمتْ وَكتْلَةَ طِين

سَرَقُوا مِنْكَ نُوْرَكَ المُتلالِي
سَرَقُوا رَعْشَةً وَخَفْقَ حَنِين

سَرَقُــوا دَعْــوَةً وَهَمْسَ صَلاَةٍ
سَرَقُــوا مِنْــكَ كُلَّ شَيْءٍ ثَمِــينِ

سَرَقُــوا نَبْـضَــةَ الحَــيَاةِ، أَمَــاتُــو
هَا عَلَى ظُلْمَــةٍ وَمَــوْجِ فُتُــونِ

سَرَقُــوهَــا مِنَ الــنُّــفُــوس ، مِنَ الــقَــلْـ
ـبِ، وَمِـــنْ فِطْرَةٍ وَنُــورِ عُيُونِ

سَرَقُــوهَــا مِنَ الــضِّــيَاءِ وَرَاحُــوْا
دَفَــنُــوْهَــا فِي ظُلْمَــةٍ مِنْ سُجُــونِ

أَيُّ تِيهٍ يَلُفُّــهُــمْ وَضــلاَلٍ
أَيُّ كِبْرٍ مِنَ الهَــوَى مَجْنُــونِ

أَيُّ كِبْرٍ أَذَلُّ مِنْ كِبْرِ كَفَّــا
رٍ وَأَشْــقَــى مِنْ مَكْــرِهِ المَــفْــتُــونِ

★ ★ ★

وأَفَــاقَــتْ مِنْ غَفْــوَةِ الــوَهْــمِ أَحْــلاَ
مٌ عَلَى رَفْــرَفَــاتِ فَجْــرٍ مُبِــينِ

مَوْكِــبَ الــنُّــوْرِ فِي مَطافِ جَمَالٍ
وَجَــلالٍ عَلَى مَرَابِــعَ غِينِ !

مَوْكِـبَ الـنُّـور. . .! أَيُّ طَيْفٍ نَدِيٍّ
مُشْرِقٍ فِيهِ، أَيُّ ظِلٍّ حَنُـونِ

تَفْـتَـحُ الـزَّهْـرَةُ الـنَّـدِيَّةُ جَفْـنَـيْـ
ـهَـا دُعَـاءً بِيَوْمِـهَـا الَمـيْمُـونِ

★ ★ ★

أَيُّهَـا الـزَّهْـرُ مَنْ حَبَـاكَ وَمَـنْ أَعْـطَا
كَ مِنْ نَفْـحِـهِ الـشَّـذَا وَمِـنْ تَلْوِينِ

زُرْقَـةٌ مِنْ رَوَائِـعِ الأُفْـقِ مَاجَـتْ
وَاحْمِـرَارٌ مُضَـمَّـخُ الـتَّـكْـوِين

واصْـفِـرارٌ كَأَنَّـهُ لَهْفَـةُ الـشَّـوْ
قِ وَمِـنْ جَوْهَـرٍ كَرِيمٍ ثَمِـينِ

واخْضِرارٌ يَمُـوجُ بَيْنَ طُيُوفٍ
وَرَفِـيْفٌ مِنْ جَدْوَلٍ وَعُـيُونِ

★ ★ ★

يَا مُرُوجَ الـرُّبَـى. . .! تُنَـادِيْك أَعْـمَا
قٌ وَيَدْعُـوْكِ عَبْـقَـرِيُّ الْـفُـنُـونِ

مَزَجَـتْ سِحْـرَكِ الُمـمَـوَّجَ، أَلْـقَـتْـ
ـهُ هُنَـا. . .، أَوْ هُنَـاكَ. . .، فوق الغُصـوُنِ

بَيْنَ وَادٍ، عَلَى الـضِّـفَـافِ الحَـوَانِي،
في الـثَّـنَـايَا، في الـتِّـيْنِ والـزَّيْتُـونِ

في عُرُوقٍ غَنَّـيةٍ، في وُرُودٍ،
في أَقَـاحٍ هُنَـاكَ أَوْ نِسْرِينِ

لَمَسَـتْ رَعْشَـةَ الهَـوَى ثُمَّ ذَابَـتْ
في صَبَـايَا مِنَ الـكَـوَاعِـبِ عِينِ

★ ★ ★

أيُّ لَوْنٍ مِنَ الخَـيَال تَلَقَّـا
هُ بِوَادٍ مُرَفْـرِفٍ وَحُـزُون

وَطُـيُورٍ عَلَى الأَفَـانِـينِ أَلْحَـا
نٌ وَرَجْـعٌ مِنَ الـصَّـدَى والـرَّنـينِ

كُلُّ لَحْنٍ صَدًى لِخَفْـقَـةِ لَوْنٍ
كُلُّ قَطْرٍ صَدَى لِخَفْـقِ عُيُونِ

هَمَسَـاتُ الـدُّعَـاءِ للهِ تَسْـبِـيـ
حٌ وَرَجْـعٌ مِنْ سِرِّهِ المَـكْـنُـونِ

★ ★ ★

أَنْـتَ يَارَبِّ خَالِـقَ الـكَـوْنِ. . . ! كَمْ أَلْـ
قَيْتَ لِلنَّـاسِ آيَةً مِنْ يقَـينِ !

كُلُّ مَا تَجْتَلِي الـعُـيُونُ عَلَيْهِ
هُوَ مِنْ خَفْقَةٍ لِمَاءٍ وَطِينِ

صَاغَهَا اللهُ نَفْحَةً وَحَبَاهَا
نَسْمَةً مِنْ هُدًى وَفَيْضِ مَعِينِ

سَاجِدَاتٍ للهِ فِي مَوْكِبِ النُّوْ
رِ خُشُوعًا وَرِقَّةً مِنْ حَنِينِ

* * *

١٣٩٨/٥/١٨
١٩٧٩/٤/٢٧

في يوم عرفة عام ١٣٩٧ هجرية السبت في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧.
تحرك أحد أفراد هذه الأمة.
إلى أرض فلسطين المغتصبة، والتقى في موكب من الحفاوة مع شعب صِهْيَون ....!

رِحلة المَوتَ

طَوَى الـلَّيْلُ آفَـاقَ الـفَـيَافي وَأَرْعَـدَتْ
عَلَيْه ذِئَـابٌ دَامَـياتُ الأظَـافِـرِ

تُمَزِّقُ أَحْـشَـاءَ الـضَّـحَـايَا بِنَـابِهَـا
وَتَـطْوِي بَقَـايَا شِلْوِهَـا الْمُـتَـنَـاثِـرِ

وَتَـطْحَـنُ ما بَيْنَ الضّروس أَنِـينَهَـا
وَتَخْـنُـقُ حَسْرَاتِ الأَسَـى والمَـشَـاعِـرِ

هُوَ الـلَّيْلُ...! أشبـاحُ الـرَّزَايَا تَنَـاثَـرَتْ
عَلَيْهِ وأَطْـيَافُ الـجُـدودِ الـعَـوَاثِـرِ

فَما أَوْمَـضَـتْ فِيه بَوَارِقُ صَارِمٍ
وَلَا زَمْجَـرَتْ فِيهِ حَمِيَّةُ ثَائِـرِ

ولا انْتَفَضَتْ دُونَ الدِّيَار كُماتُها
وَلَا وَثَبَتْ فَوْقَ السُّرُوجِ الضَّوامِرِ

ولا نَهضَتْ مِنْ وَهْدَةِ الذُّلِّ كَبْوَةٌ
وَلَا نَفَضَتْ عَنْها غُبَارَ الحَفَائِرِ

★ ★ ★

مَضَيْتَ... ! وَأشلاءُ الأُبَاةِ تَبَعْثَرَتْ
وَدُنْيَا الُمرُوءَاتِ آسْتَذَلَّتْ لِفَاجِرِ

مَضَيْتَ... وإنْ كادَتْ خُطَاك لِتَسْتَحِيْ
وَتَرْجِعُ عن غَيِّ الذَّلِيل المُكَابِرِ

فأقْحَمْتَهَا هَوْلَ الدَّنَايا وصَفَّقَتْ
إلَيْكَ أكُفّ السَّاقِطَاتِ الفَوَاجِرِ

تَمُرُّ عَلَى الأَمْجَادِ رَعْشَةُ ذِلّةٍ
فَتُغْمِضُ مِنْ أَجْفَانِها والَمحَاجِرِ

وَتُغْضِي... وَأَصْدَاءُ الجراحِ حَبِيسَةٌ
تَمُوتُ عَلَى أَصْدَاءِ طَعْنَةِ غَادِرِ

★ ★ ★

أأشْفَقْتَ أنْ تَبْقَى ثكَالَاكَ بالأَسَى
ودَمْعُ اليَتَامَى بينَ خَدٍّ وَنَاظِرِ

وَمَـــا أشْـفَـقَتْ «صِهْيَوْنُ»... ! كلُّ رُبُــوعِهَــا
ثكَــالى وأَيْتَــامٌ وفَــيْضُ مجَازِرِ

فَما صرَخَــتْ إلّا لتَــنْــفُضَ يَأْسَــهــا
وتَمْضِيَ في دَرْبٍ شَدِيدِ الَمــخَــاطِــرِ

فَتُــلْقِــيَ أفْــلاَذَ الــكُــبُــودِ عَلَى الــلّظَى
وَتَحْــمِــيَ آمَــالَ الــنُّــفُــوسِ الــغَــوَادِرِ

لِتَــجْــعَــلَ مِنْ زُوْرِ الــضَّــلاَلِ حَقِــيقَــةً
وَتَــرْفَــعَ بُهْتَــانــاً عَلَى كُلٍّ ظَاهِــرِ

★ ★ ★

فيَا حَسْرَتَــاه كَيْفَ لم يُشْــفِــقِ الــنُّهَــى
على شَرَفٍ دَامٍ وعِــرْضٍ حَرَائِــرِ

عَلَى القُــدْس... ! جِلْبَــابُ الــظَّلاَمِ يَلفُّهَــا
وَأَمْجَــادُهَــا مَنْــثُــورَةٌ كَالجَــوَاهِــرِ

عَلَى كُلّ شِبْرٍ من فِلَسْــطِينَ لَمْ يَكُــنْ
سِوَى نَفَــحَــاتٍ مِنْ أَبِيٍّ وصَــابِــرِ

سِوَى خَفَقَــاتِ الــوَحْيِ... ! يُنــدي رُبُــوعَها
وَيَسْــكُــبُ من فَيْضٍ وَيَهْــمِــي بِعَــاطِــرِ

عَلَى أُمَّـةٍ[1] ما أخْـرَجَ الـلّهُ مِثْـلَهـا
إلى الـنّـاس أنْـواراً وَطِـيبَ مآثـرِ

* * *

فَوَا أسَـفَـا أن ضَيَّعَ الحـقّ «جـاهِـلٌ»
وَمَـزّقَـهُ بَيْنَ المِـدَى والخَـنـاجِـرِ

فَأَهْـوَى بِهِ «الـسَّـفّـاحُ» بَيْنَ مَدَافِـعٍ
تُدَوِّي وَمَـكْـرٍ مِنْ غَوَايَةِ كافِـرِ

* * *

فَما كان إبْـراهِـيم إلاّ مُصَـدِّقـاً
بأحْمَـدَ بَرّاً، عاطِـراً بالـبَـشَـائِـرِ

ورتَّـلَهَـا دَاوُدُ نَفْـحَ نُبُـوّةٍ
وَرَجَّـعَ تَحْنَـانـاً وخَـفْـقَ مَزامِـرِ

وَصَـانَ سُلَيْمانُ الحَـكِـيمُ أمَـانَـةً
لأحْمَـدَ يُوفِـيهَـا نَدِيَّةَ شاكِـرِ

أُولئِـكَ.. مَـا سَاسُـوا الـدِّيارَ بِعِـرْقِـهِـمْ
وَلاَ مَلَكُـوْهَـا جَاهِـلِيَّةَ سَادِرِ

---

(١) هِي أمّة الإسلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كنتم خير أُمّة أُخْرِجَتْ للنّاس...﴾ (آل عمران: ١١٠)

وَلَـكِـنَّهَـا كانَـتْ صَفِـيَّ أمَـانَـةٍ
وعَـهْـداً يُؤَدَّى بَعْـدَ حِينٍ لِقَـادِرِ

وَرَفَّـتْ عَلَى عِيْسَـى الـنُّـبُـوَّةُ والـتَـقَـتْ
عَلَى سَاحَـةِ الأقْـصَـى شُفُـوفُ بَصَـائِـرِ

فَأَمَّـهُـمُ الْـمُـخْـتَـارُ أَحْمَـدُ سَيِّداً
لِيَجْـمَـعَ مِنْ مَاضٍ زَكِـيٍّ وَحَـاضِرِ

وَيُمْضِي عَلَى الأَيَّامِ دَعْـوَةَ رَبِّـه
جِهَـادَ مَيَامِـينٍ ونَـفْـحَ أَزَاهِـرِ

وَتَـتَّـصِـلُ الأَزْمَـانُ. . . . . . بَيْنَ طُيُوفِـهَـا
نُبُـوَّةُ إِسْـلام وصِـدْقُ أوَاصِرِ

ويُصْـبِـحُ للإِسْـلام مُلْكُ رُبُـوعِـهَـا
وعَـهْـداً أَمِـيْـنـاً لَا يُرَدُّ لِفَـاجِـرِ

فَذَلِـكَ إِرْثُ الأَنْـبِـيَـاءِ. . . . دِيارُهُـمْ
مَرَابِـعُ تَوْحِـيْدٍ وَخَـفْـقُ مَنَـابِـرِ

★ ★ ★

فَوَا أَسَـفَـا أَنْ ضَيَّعَ الـعَـهْـدَ جَاهِـلٌ
وَغَـيَّبَـه في سَادِرَات الـدَّيَاجِـرِ

وَمَــزَّقَ مِيثَــاقَ الــنُــبــوّةِ كُلِّهــا
وَأَلْــقَــى بــه. . . ! كِبْرَ الــشَّــقِــيِّ اُلمغَــامِــرِ

★ ★ ★

رَحَــلْــتَ. . . ! وَفِي كَفَّــيْكَ غُصَّــةُ أُمّــةٍ
وأَشْــلاَءُ تَارِيخٍ وَبَــحَّــةُ زَاجِــرِ

حَمَلْتَ لهم غُصْــنَــاً. . . ! فأيْنَ اخْضِرَارُهُ
وَقَــدْ ذَوَّبَــتْــهُ قَانِــيَاتُ الجَــرَائِــرِ

وأيُّ هَدِيلٍ للحَــمَامِ إِذَا نَزَتْ
عليه شِفَــارٌ من وَمِــيضِ الــبَــواتِــرِ

وأيّ سَلامٍ تَرْتجِــيه إذا انْــحَــنــتْ
عَلَى قَدَمٍ هامٌ ورعْــشَــةُ صَاغِــرِ

فَبِــعْــتَ لَهُمْ داراً وأيْكــاً وســاحــةً
ومَــلْعَــبَ أمْجَــادٍ وَحُــرْقَــةَ صَابِــرِ

وَبِــعْــتَ لَهُمْ شَعْــبــاً وَتَــارِيخَ أُمَّــةٍ
وَزَهْــواً تَهَاوَى تَحْتَ نَزْوَةِ خَائِــرِ

★ ★ ★

فَأَيَّ يَدٍ صَافَــحْــتَ. . . ! مِلْءُ بُطُونها
مَذَابِــحُ. . . ! أدْمَــتْ كلَّ قَلْبٍ وخَــاطِــرِ

أَكــفٌ «مَـنَـاحِـيم» . . . ! أَظَـافِـرُ ثَعْلَب
ومـدْيَةُ جَزّارٍ وحِـقْـدُ مُجَاهِـرِ

أصـافَـحْـتَـهـا . . . والـرِّجْسُ بَيْنَ عُرُوقِهـا
تَدَفّـق أَمْـوَاجَ الخَـطَايَا الـزَّوَاخِـرِ

تصـافَـحْـتُـما . . . «والـدَّيْرُ» ما زال نَازِفـاً
عَلَى غَاضِـبٍ بَيْنَ الـنَّـجِـيعِ وَثَـائِـرِ

تَصَـافَـحْـتُـما . . . ! بين ابْـتِـسَـامَـةِ مُجْرِمٍ
عَتِيٍّ وَكَـيْدٍ مِنْ غَوِيٍّ مُحَاذِرِ

فَيَا «دَيْرَ يَاسِـين» أَطِـلَّ بلَعْـنَـةٍ
تُزَلْـزِلُ أَقْـدَامَ الـطُّغَـاةِ الجَـبَـابِـرِ

★ ★ ★

فَيَا أَيُّهَـا الأَقْـصَـى . . . ! أَنِينُـك مُوْجِـعٌ
حَنـينُـكَ أَصْـدَاءُ الـعُـصُـورِ الـغَـوَابِـرِ

وَشَـوْقُـك ذَوْبُ الخَـالِـيَاتِ من الـرُّؤى
لِرَنَّـةِ أَنْـصَـالٍ وَوَقْـعِ حَوَافِـرِ

وخَـفْـقَـةِ رايَاتٍ وَعِـزَّةِ فَاتِـحٍ
يَمُـوجُ صَدَاهَـا في دَوِيِّ الحَـنَـاجِـرِ

عَصرْتَ غنيَّ الـذِّكْـرَيَاتِ بِدَمْـعَـةٍ
عَلَى هُدُبٍ تُغْضي ونَـوْحِ سَرَائِـرِ

فَيا«عُمَـرُ الفـاروقُ». . . أيْنَ صَدَى الُخطَى
إلى المـسْـجِـدِ الأقْـصَـى وإشْراقُ زَائِـرِ

وأيْنَ طُيوفُ المـجْـدِ حَولَـكَ وَالـتُّـقَـى
وَأنْـداؤه رَفَّـتْ على كُلِّ زاهِـرِ

تَواضَـعْـتَ. . . مَا غَضَّ الإِبـاءُ جُفُـونَـهُ
عَدَلْـتَ. . . فما ذَلَّـتْ طُيُوفُ مَنَـائِـرِ

وَهَـبْـتَ. . . وَمَـا ضَيَّعْـتَ حقًّـا لِخَالِـقِ
عَفَـوْتَ. . . وَفِي كَفَّـيْكَ عِزَّةُ ظَافِـرِ

وَجَمَّـعْـتَ أَشْـتَـاتَ الأَمَـانَـةِ كُلِّـهَـا
ونَـظَّمْـتَـهَـا عِقْـداً كَرِيْمَ الجَـوَاهِـرِ

★ ★ ★

فَيَا أمَّـةً. . . قَصَّـفْـتِ في سَاحِـكِ الـقَـنَـا
وأحْـنَـيتِ للأوْثَـانِ هَامَـةَ خَاسِرِ

بَعُـدْتِ عَنِ الـرَّحْمٰنِ فاشْـقَـيْ وَوَلْـولي
عَلَى غُصَصٍ مَلأى بِقَـيْحِ الجَـرَائِـرِ

ألا رَجُــلٌ تَهْتَــزُّ مِنْــهُ إبَــاءَةٌ
وتــغْــضَــبُ للرَّحْمٰــنِ نَخْــوَةُ بَاتِــرِ

نَشِــيدُكِ أَحْــزَانُ الَمــآتِــمِ فادْمَــعِــي
ومَجْــدُكِ طَيَّاتُ الــثَّــرَى والَمــقــابِــرِ

١٩٧٧

★ ★ ★

في السياسة الدولية اليوم أسواق، تضطرب فيها المساومات وتهدر الحقوق والمروءات. وقد حملت أمتنا إلى هذه الأسواق...

أسواق

أَسْعِفِيْنِي إِذَا اسْتَطَعْتِ بِشَيءٍ
مِنْ بَيَانٍ وَوَثْبَةٍ مِنْ خَيَالِ

قَصَّرَتْ دُوْنَها العُقُوْلُ وَنَاءَتْ
بالأَسَى تَحْتَ وَطْأَةِ الأَثْقَالِ

إِنَّها لَوْعَةُ الفَجِيْعَةِ أَمْوَا
جُ لَيَالٍ حُبْلَى وَرَجْفُ جِبَالِ

إِنَّها ذِلَّةُ الهَزِيْمَةِ، أَنْوَا
ءُ ضَيَاعٍ، عَوَاصِفٌ مِنْ رِمَالِ

تَتَلَوَّى الآفَاقُ في مَهْمَهٍ دَا
جٍ بَعِيْدٍ مُرَوَّعِ الآمَالِ

إنّها أُمَّـةٌ تُبـاعُ بِسُـوقٍ
عَفِـنٍ مِن نِخَـاسَـةٍ وَآغْـتِـيَالِ

★ ★ ★

أُمَّـةٌ... هاهُـنـا... تُبَـاعُ وَتُـلْقِـيْ
هَامَـةَ الـذُّلِّ بَيْنَ خَفْـقِ الـنِّـعَالِ

كُلُّ تُجّارِهِ نُيُوْبُ ذِئـابٍ
وأظَـافِـيْرُ ثَعْـلَبٍ مُحْتَـالِ

كُلُّ سَادَاتِـهِ مَطَايا عَبِـيْدٍ
رَاضَـهـا الـسَّـوْطُ تَحْتَ شَدِّ الـرِّحَـالِ

اُلمـرُوْءَاتُ هَاوِيَاتٌ دَوامِـيْ
تَحْتَ أَقْـدَام مُجْرِمٍ قَتّـالِ

في زَوَايَاهُ هَمْسَـةُ الشَّرِّ تَسْرِيْ
وَعَـلَى سَاحِـهِ شُرُورُ الـفِـعَالِ

الـعِـصَـابَـاتُ، وَالـلُّصُـوْصُ، وإجْـرَا
مُ وَحَـشْـدٌ مِنَ الأسَـى والـنَّـكَالِ

سَاحَـةُ الـكُـفْـر...! دَامِـيَاتُ المـآسِي
تَتَـنَـزّى بِها وجَـوْرُ الـضَّـلَالِ

جَمَعَتْهَا «صِهْيَوْنُ» في غَفْلَةِ العُمْـ
رِ وَفي زَهْوَةٍ لَهَا وَوِصَالِ

جَعَلُوْهَا «مُعَسْكَراً» كَادَ يَمْضِي
مِنْ ثَنَايَاهُ دَعْوَةُ «الدَّجّالِ»

رَفَعُوْا رَايَةً تَحَدَّوْا بِهَا اللّـ
ـهَ وَظَنُّوْا نَجَاتَهُمْ في الخِتَالِ

غَرَّهُم مَا رَأَوْه مِنْ نِعْمَةِ اللُّـ
ـهِ وَمَا مَدَّهُ لَهُمْ مِنْ حِبَالِ

حَسِبُوا أَنَّ مَكْرَهُمْ هُوَ أَبْقَى
ورَأَوْا غَيَّهُمْ طَوِيلَ المَجَالِ

وَيْحَهُمْ...! لَا يَرَوْنَ آياً من اللُّـ
ـه وحُكْماً مَعَ القُرُونِ الخَوَالِي

سُنَّةُ اللهِ سَوْفَ تَمْضِي فَيَلْقَوْ
نَ بِمَا يَكْسِبُوْنَ سُوْءَ المآلِ

★ ★ ★

أيُّ سُوْق تَمُوجُ فِيْهِ الثَّكَالى
والأَيَامَى وَحَيْرَةُ الأَطْفَالِ

وَضَـجِـيجُ الآثـامِ : أنَّـةُ مَفْـجُـوْ
عٍ وَرَجْـعُ الـنّـوَاحِ وَالإِعْـوَالِ

والـضّـحَـايا مِنَ الـشُّـعُـوبِ قَطِيعٌ
يَتَـلَوّى فِيْ زَحْـمَـةٍ مِنْ ثَعَـالي

نَهْـمَـةُ المَـوْتِ أَطْـلَقَـتْ مِن يَدَيْهـا
وَثَـبَـاتِ الـوُحُـوْشِ والأَدْغَـالِ

فَتَرَامَـتْ... هُنَـاك... تَشْـغُـو على مُدْ
يَةِ جَزَّارٍ وَتَـنْـحَـنِي لِنِـصَـالِ

★ ★ ★

أُمَّـةٌ...! هاهـنـا تُسَـاقُ وأَمْجَـا
دٌ تُنَـادِيْ وذِكْـرَياتٌ خَوَالي

حَمَلُوهـا إلَـيْهِ مِنْ بَيْنِ آمَـا
لٍ وَشَـوْقٍ وأُمْـنِـيَاتٍ غَوَالي

نَزَعُـوْا كُلَّ حِلْيَةٍ مِنْ يَدَيْهَـا
مِنْ جَبِـيْنٍ مَرَصَّـعٍ بالـلآلي

سَرَقُـوْا كُلَّ جَوْهَـرٍ شَعَّ في الـلَّيـ
ـلِ، كَرِيْمٍ مُضَـمَّـخٍ بِالجَـمَالِ

رَفَعُوا عَنْ خُدُودِها طَلْعَةَ الوَرْ
دِ وَعن جَفْنِها التفَاتَ الغَزَالِ

نَزَعُوا ثَوْبَها الغَنِيَّ وَأَلْقَوْا
مِنْ بَقَايَا الخُرُوق والأَسْمَالِ

حَمَلُوها... مِنْ أَمْسِهَا الحُلْو من دا
رٍ وَأَيْكٍ وَرَبْوَةٍ وظِلالِ

مِنْ بَنِيْها... عَلَى جُفونِهِمُ الدَّمْـ
ـعُ وَرَيُّ التَّارِيْخِ والأَجيَالِ

وَعَلَى الجُرْحِ غُصَّةُ المَجْدِ تَدْمَى
بَيْنَ ذِكْرَى وَلَهْفَةٍ وابْتِهالِ

حَمَلُوهَا هُنَاكَ ثُمَّ رَمَوْها
فِيْ زوَايا النِّسْيانِ والإِهْمَالِ

سِلْعَةً لَمْ تَعُدْ مَعَ الهَوْنِ تَلْقَى
لَفْتَةَ العَيْنْ أَوْ هَوَى الإِقْبَالِ

تَتَلَهَّى بأَنَّة المِعْصَم الدَّا
مي وَشَكْوَى الرِّقَابِ للأَغلالِ

* * *

أُمَّــةٌ... ها هُنــا تُبــاعُ وَيَمْضِي
حَوْلَهَــا المــجْــدُ وَمْــضَــةً مِنْ خيالِ

ذِكــرَياتٌ مُرَنَّــحــاتٌ...! وأَشْــوا
قٌ حَيَارَى.. تَطَلَّعَــتْ للمــعَــالِي

ذُوِّبَــتْ كُلُّها دُمُــوعــاً عَلَى الجَــفْـ
ـنِ وَفي الحَــلْقِ غُصَّــةٌ مِنْ وِجَــالِ

الــذّلــيلُ الــذي يَقُــودُ خُطَاهَــا
بَيْنَ عَــضِّ الحَــدِيْدِ والأثْــقَــالِ

يَحْتَــمِــيْ بالــظَّلام مِنْ مَوْكِــبِ الــنُّــو
رِ وَمِــنْ قُدْسِــهِ وَمِــنْ إِجْــلَالِ

رَوَّعَــتْــهُ الأشْــبَــاحُ في ظُلْمَــةِ الــوَهْـ
ـمِ وَرَنَّــاتِ صَرْخَــةٍ وخَــبَــالِ

هَلَعٌ يَنْــزِعُ الــضّــلوعَ ويَرْمِــي
بِبَــقَــايا مَنْــخُــورَةٍ مِنْ خِصَــالِ

يَرْتمِــي مُنْهَــكَ الــقُــوَى... ضَــائِــعَ الــقَــلْـ
ـبِ شَتِــيْتــاً عَلَى سَرَابِ رِمَــالِ

أَيْنَ يا «كـامِــبُ» هَلْ رَأَيْتَ رِجَـالاً
حَمَلَتْ فِيْكَ خَصْـلَةً مِنْ رِجَـالِ

الــلياليِ الحَــمْــراءُ لَمْ تُخْفِ سُوْداً
مِنْ نُفُــوْسٍ وظُــلْمَــةً مِنْ فِعَــالِ

بَيْنَ «بِــيْجِــنْ» و «كِــرْتَــرِ» رَعْــشَــةُ الخَــوْ
فِ رَمَــتْــهُ وَذِلَّـةٌ مِنْ سُؤَالِ

مَدَّ كَفَّــيْهِ مِنْ حُطَامٍ . . . ! وَدَارَتْ
بَيْنَ عَيْنَــيْهِ لَهْفَــةُ الأنْــذَالِ

أنْــقِــذَاني. . . ! يَا صَاحِــبَــيَّ فإنّي
بِعْــتُــكُــمْ كُلَّ أيْكَــةٍ وظِــلالِ

كُلَّ دارٍ. . وَرَبْــوَة وأزاهِــيْـ
ـرَ وَشَــوْقَ الــرِّجَــالِ والأطْــفَــالِ

وطُــيُوْفَ الــتّــاريخِ . . والشَّرَفَ الحَــقْـ
ـقَ وَزَهْــوَ الجِــهَــادِ والآمَــالِ

بِعْــتُــكُــمْ نَفْــحَــةَ الــبُراقِ وهــذا الــ
قُدْسَ نَفْــحَ الــعُــصُــورِ والأجْــيَالِ

وَالمـيادِينَ والـقَـنَـا وَدمَـاءً
فَجَّـرَتْهـا أسِـنَّـةُ الأبْـطالِ

بِعْـتُـكُـمْ مَا تَشـاؤون...! هذي دِيَارِي
وَدِيارُ الأَعْـمامِ والأخْـوالِ

كُلُّ هذا طَوَيْتُـهُ في غَيَابَـا
تٍ وَأقْـحَـمْـتُـهُ ظَلامَ الـلَّيَالي

كُلُّ صَوْتٍ قَتَـلْتُـهُ في حُلُوقٍ
رَجَـفَـتْ بَيْنَ بَحَّـةٍ وابْـتـهـالِ

جُلُّ ما أَبْـتَـغِـيْهِ مِنْـكُـمْ وَأرْجُـو
كِسْرَةٌ...! كَيْ أسُـدَّ جُوْعَ «الـسِّـخَـالِ»

وَضَـعُـوْا في فَمـي الـكَـلامَ لَعَـلِّي
أَصْـنَـعُ الـسِّـلْمَ مِنْ بَدِيْعِ مَقَـالِ

إنَّ خَلْفِـي كَمَا عَلِمْـتُـمْ شُعُـوبـاً
بَيْنَ آذانِها قُلُوْبُ الـرِّجَـالِ

★ ★ ★

أَيْنَ هَذَا الـسَّـلامِ...! يَصْـنَـعُ فِيْهِ الْـ
مَوْتُ والشِّرْكُ رَعْشَـةَ الإِذلالِ

والـشّـيـاطِـيـنُ تَـنْـفـثُ الشرَّ فِيهِ
نافِـرَاتٍ بِمَـكْـرِهَـا الـقَـتَّـالِ

وَالخَـفـافِـيشُ بَيْنَ تِلْكَ الـزّوايا
رَاعِـشَـاتٌ يَخَفْـنَ وَمْض نِصـالِ

يَا عَدُوَّ الـسَّـلامِ أيُّ سَلامٍ
تَرْتَجِـيهِ هُنَـاكَ... أيُّ نَوَالِ

نَفَـرَتْ رُوْحُـكَ الخـبـيـثَـةُ للذُّلْـ
ـلِ عَلَى مَرْتَـعٍ وخَـيْمٍ بالِي

مَرْتَـعِ الـكُـفْـرِ...! حين وَالَـيْتَ أَعْـدَا
ءً وأدْبَـرْتَ سَادِرَ الإدلالِ

لَوْ رَأَيْتَ الإيمانَ باللهِ يَبْـنِي
أُمَّـةً أوْ يَصُـوغُ عَهْـدَ الـرّجـالِ

بَيْنَ نَصْرٍ مؤزَّرٍ وَحُـقُـوْقٍ
صَانَهَا مِنْ شَرِيْعَـةٍ وَكَـمالِ

وإبَـاءٍ مِنَ الْمـرُوءَة والـعَـزْ
مِ وَبَـذْلِ الـنّـفُـوسِ والأمْـوالِ

لَوْ رأيْتَ الإِيْمانَ يَدْفَعُ لِلْحَقْـ
ـق رِجَالاً تَجُودُ مِنْ كلِّ غالِ

أرْخَصَتْ أنْفُساً فَهَبَّتْ إلى المَوْ
تِ وَأغْلَتْ مِنَ الرَّجَا وَالمَنالِ

هكذا يُصْنَعُ السَّلامُ وَيُبْني
بِالقَنَا لا بِزُخْرُفِ الأقْوَالِ

بالتُّقَى... بِاليَقين باللَّهِ بالدِّيْـ
ـنِ بِآياتِهِ بِسَاحِ نِزَالِ

أيُّهَا المُجْرِمُوْن مَهْمَا يَطلْ لَيْـ
ـلٌ فَهَذِي بَوَارِقٌ مِنْ عَوَالي

إنّ لِلفَجْرِ مَوْعِداً يَطْلع الأفْـ
ـقُ عَلَيْهِ بِصَادِقٍ بَذّالِ

* * *

يَا طُيُوْفَ الإِيْمانِ أيْنَ تَوَلَّيْـ
ـتِ وَخَلَّفْتِ سَاحَةً مِنْ قِتَالِ

المَيادِيْنُ لَمْ تَزَلْ تَحْمِلُ الشَّوْ
قَ نَدِيًّا مِنْ آيَةٍ وَبِلالِ

وَدَوِيُّ الـقُـرْآنِ في الأُفُـقِ الْمـرْ
بِدِّ أصْـدَاءُ خَالِـدٍ وَبِـلالِ

وَالـقَـنَـا يَقْـرَعُ الـقَـنَـا والأَهَـازِيـْ
جُ وَوَمْضُ الـدِّمَـاءِ والأَنْـصَـالِ

والـرُّبَـى حَيْثُـمَا تَلَفَّـتُ، تَهْـتَـزْ
زُ شَظَايَا الـلَّهِـيْبِ والإِشْـعَـالِ

لَمْ تَزَلْ كُلُّ حَبَّـةٍ مِنْ ثَرَاهَـا
خَفْـقَـةَ المِـسْـكِ أو ذَكِـيِّ الـغَـوَالِي

لَمْ تَمُتْ يَا طُيُوفُ هذي المَـيَادِيْـ
ـنُ وَمَـاتَـتْ عَزائِـمٌ مِنْ رِجَـالِ

الهَـوَانُ الـذَّلِـيلُ مَوْتٌ ذَلِـيلٌ
وَالـرَّدَى فِي الجِـهَـادِ عَيْشٌ حَالِي

★ ★ ★

يَا فَلَسْـطِينُ. . . ! يَارُبَى المَـسْـجِـدِ الأَقْـ
صَى. . . ! حنـانَـيْكِ مِنْ أَسـىً قَتَّـالِ

أَيْنَ غُصْـنُ الـزَيْتُـوْنِ يَحْنُـوْ فَأَلْـقَـى
عِنْـدَهُ في الهَـجِـيْرِ بَرْدَ الـظِّلَالِ

أيْنَ عِطْرُ الـلَّيْمُـوْنِ يَمْـلأُ أَمْسِيْ
مِنْ شَذَاهُ.... ! أيْنَ أَمْسِـيْ الخَـالِي

أيْنَ ذِكْـرَى لَمْـتُـهَـا في الـبَـسَـاتِـيْـ
ـنِ عَلَى نَفْـحَـةٍ مِنَ الـبُرْتُـقَـالِ

زَهْـرَةَ الـلَّوْزِ.... ! ما شَمَـمْـتُـكِ إلاّ
ذِكَـرياتٍ رَجَـعْـنَ مِلءَ خَيَالِي

ذِكْـرَيَاتِ الجُـدُودِ تَغْـرِسُ في الأرْ
ضِ غِراسَ الجِـهَـادِ والأَفْـعَـالِ

وَالـوُرُودُ الـتي تَشَـقَّـقَ عَنْهَـا الـ
فَجْـرُ نَفْـحَ الـبُـكُـورِ وَالآصَـالِ

واخْضِرارُ الـعِـيْدَانِ وَالـوَرَقِ الـزّا
هِيْ عَلَى جَدْوَلٍ وَفَـوْقَ تِلالِ

والـتِـفَـافُ الأَعْـشَـابِ بَيْنَ الـسَّـوَاقِـي
والـعَـنَـاقِـيدُ بَيْنَهَـا وَالـدَّوَالي

وَثِـمـارٌ غَنِـيَّةٌ وَعَـطَايا
وَغُـصُـوْنٌ مَمْدُودَةُ الأَحْمَـالِ

وَالـيَنَـابِـيْعُ شَقَّـتِ الـصَّـخْـرَ عَنْـهَـا
بِلُجَـيْنٍ وَأَقْـبَـلَـتْ بِزُلاَلِ

وَالـعَـصَـافِـيْرُ بَيْنَ أعْـشَـاشِـهَـا الْخُضْـ
ـرِ وَرَوْضٍ عَلَى صَدَاهَـا حَالي

زَهَـرَاتٌ عَلَى الْمـُرُوجِ تَلَفَّـتْـ
نَ، وأَشْكَالٌ طَلَعْـنَ مِنْ أشْـكَـالِ

ذَوَّبَـتْ لَوْنَهَا الجِـنَـانُ عَلَيْهَـا
وَسَـقَـتْـهَـا مِنْ كَوْثَـرٍ سلسَـالِ

وَيَدُ الله فَوْقَـهَـا بَرَكَـاتٌ
مُنْـزَلاتٌ بِفَـيضِـهَـا الـسَّـيّال

فإذَا أَنْـتِ يَا فِلَسْـطِينُ نُوْرٌ
بَيْنَ وَادٍ وَهَـضْـبَـةٍ وَقِـلاَلِ

شَعَّ فِيْ ظُلْمَـةِ الـدَّيَاجِـيْرِ يَرْوي
بِحُـرُوفٍ مِنْ نُوْرِه الْمـتَـلاَلي

بِحُـرُوفٍ تَدُورُ حَوْلَ رُبَاهَـا
وَسَـمَـاءٍ وأَنْـجُـمٍ وَهِـلالِ

وَهِـيَ تَتْـلُوْ: «الـلّهُ أكْـبَرُ» . . . أَصْـغِـي
وَٱخْـشَـعِـي يَا رُبَـى لِهٰذَا الجَـلالِ

أنْـتِ حقّ الإِسْـلام . . . لُؤْلُـؤَةُ الإِيْـ
ـمَانِ . . . دَارُ الجِـهَـادِ والأَمْـثَـالِ

أنْـتِ عَهْـدٌ مَضَـى لأَحْمَـدَ بالأَقْـ
ـصَـى نَدِيًّا عَلَى جَدِيدِ الـلَّيالي

وَالـنُّـبُـوَاتُ وَمْـضَـةٌ مِنْ غُيُوْبِ
شَهِـدَتْـهُ وَوَثَّـقَـتْ مِنْ حِبَـالِ

أمَّـهَـا أحْمَـدُ . . . فهاجَـتْ قُرونٌ
وَاسْـتَـفَـاقَـتْ عَلَى نِدَاءٍ عَالي

وَبُرَاقٌ يَشُـقَ بالأُفُـقِ الأعْـ
ـلى غُيوبـاً وَيرْتَـقِـي لِنـوَالِ

بَيْنَ جُنْـحَـيهِ رَفَّ مِنْ طَرَبِ الـشَّـوْ
قِ أَرِيجٌ وَفَـاحَ مِنْ إِقْـبَـالِ

★ ★ ★

١٣٩٩/١/٢٠
١٩٧٨/١٢/٢٠

إلى كل مسلم أغْرَتْهُ الدنيا بلَهْوِهَا فَجَرَى وراءها وَخَلَّفَ ميدان الجهاد . . . وأعداء أمة الإسلامَ يمكرون ويَتَربصون .

فما زالتَ لدَينا بقيَّة

رُوَيْدَكَ . . . ! كَمْ هَيَّجْتَ مِنِّي أَمَانِيَا
وَرَجَّعْتَ مِنْ ذِكْرَى اللَّيَالِي لَيَالِيَا

فَنَاشَدْتُ مِنْ عَهْدِ الوِدَادِ وَصَفْوِهِ
لَعَلَّكَ تُصْغِي لِي فَمَا أَنْتَ صَاغِيَا

لَهَوْتَ مَعَ الدُّنْيَا وَغَرَّكَ حَالُهَا
فَتَسْكُبُ أَحْلاَمًا وَتَنْهَلُ سَالِيَا

عَتِبْتُ . . على رُشْدٍ يَضِيعُ وَمُهْجَةٍ
تَذُوبُ وَوَهْمٍ ظَلَّ حَوْلَكَ دَاعِيَا

وَمَا كَانَ عَتْبِي غَيْرَ نُصْحِ مُؤَمِّلٍ
إِلَيكَ صَلاَحًا لا يَرُدُّ رجَائِيَا

إِذَا زِدْتُ فِي نُصْحِي تَزِيْدُ ضَلاَلَةً
وَتُمْعِنُ فِي لَهْوٍ وَتُدْبِرُ جَافِيَا

فَهَلْ رَوَتِ الأَيَّامُ مِنْكَ صَبَابَةً
وَحُرْقَةَ نَارِ الشَّوْقِ... أَمْ عُدْت صَادِيَا..!

وَمَا الْعَتْبُ إِلَّا غَايَةُ الوُدِّ بَيْنَنَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ كَتَمْتُ عِتَابِيَا

★ ★ ★

وَأَمَّا حَيَاتِي فَهْيَ دَفْقُ مَشَاعِرٍ
وَخَفْقَةُ آمَالٍ تَشُقُّ مَسَارِيَا

فَمَا «صَفَدٌ» تَسْتَلُّ هَمِّي بِبَانِهَا
وَلاَ غِيْدُ «عَكَّا» تَسْتَطِيعُ اجْتِذَابِيَا

وَلَكِنَّ لِيْ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَرَابِعَاً
إِذَا جِئْتُ مَهْمُومًا نَسِيتُ شَقَائِيَا

لَدَى «البَحْرَةِ» «الزرقاء»[1] تَلْقَى مَعَالِماً
وَتُبْصِرُ آيَاتٍ وَتُحْيِيْ أَمَانِيَا

---

(١) بحيرة طبريا من الرجوم في صفد.

أَمَــامَــكَ. . .! فانــظُرْ أيَّ لَوْنٍ تشــاؤه
تَمَايَلَ أَنْــجَــاداً وَصَــفَّــقَ وَادِيَا

وَتَــسْــكُــبُ فِيْهِ الــشَّــمْسُ حلْياً مُذَهَّــبــاً
فَيَنْــثُــرُ وَرْداً أَوْ يَفُضُّ أَقَــاحِــيَاً

يَمُــوجُ عَلَى شَتَّــى الــطُيُوفِ أَرِيْجُــهُ
فيُرجِــعُــهُ بَيْنَ الــظِّلاَلِ أغَــانِــيَا

إذا ما كَسَــاهَــا الــلَّيْلُ مَوْجَ غِلالَــةٍ
وَأَلْــقَــى عَلَيْهَــا جَوْهَــراً ودَرَارِيَا

يَرُدُّ غِلاَلاَتِ الــدُّجَــى ويُزِيْحُــهَــا
وَيُبْــقِــي عَلَيْهَــا الــبَــدْرُ مَا كَانَ غَالِــيَا

وَيكْــشِــفُ مِنْ بَيْنِ الــرَّوَابِي بَهَاءَهَــا
ويَسْــكُــبُ شَلاَّلاً مِنَ الــنُّــورِ ضَافِــيَا

هُنَــالِــكَ فَانْــظُرْ. . . حَيْثُ مَامِــلْتَ آيَةٌ
وَرَعْــشَــةُ تَسْــبِــيحٍ تَلُفُّ الــنَّــواحِــيَا

★ ★ ★

نَزَعْــتَ إِلى دَارٍ تَمُوجُ بِلَهْــوِهَــا
فَهَــلْ رفَــعَــتْ هَماً على الــقَــلْبِ جَاثِــيَا. . .!

هُنَالِكَ أَنْغَامُ الضَّيَاع تَبعْثَرَتْ
عَلَى رَقَصَاتٍ نَازِفَاتٍ مَسَاوِيَا

نَشَاوَى يُعَانِقْنَ الغَوَايَةَ شَهْوَةً
ويَسْكُبْنَهَا أَنَّى التْفَتَّ مجَارِيَا

تَعَرَّيْنَ إِلَّا مِنْ شُفُوفِ غِلَالَةٍ
بَلِيْنَ عَلَى وَهْجِ الضُّلُوعِ حَوَانِيَا

عَلَى ساعِدٍ رَخْصٍ تَغِيْبُ بَلَالَةٌ
وتطوي عَلَى رَفِّ النُّهُودِ غَوَالِيَا

وَتَضْوِى ذُبَالاتُ النُّهَى بَيْنَ هَمْسَةٍ
وَرَعْشَةِ شَوْقٍ تَتْرُكُ القَلْبَ ظَامِياَ

★ ★ ★

أُولَئِكَ غَابُوْا فِي دَيَاجِيرِ سكْرَةٍ
وَلَمْ تُبْقِ لَذَّاتُ الغَوَايةِ صَاحِيَا

وَخَلْفَهُمُ مَكْرُ العَدُوِّ وَبَأْسُهُ
يُعِدُّ إِلى يَوْمِ اللِّقَاءِ العَوَالِيَا

يَمُدُّ لنا لَهْواً نَعُبُّ عُبَابَهُ
وَيُجْرِيْ لَنَا بَحْراً ويُجْري سَوَاقِيَا

لِيَغْـتَـالَ آمَـالاً وَيَنْهَـبَ نَخْـوَةً
وَيَطْحَـنَ عَزْمًـا أَوْ يَجُزَّ الـنَّـوَاصِـيَا

أُخَـيَّ...! أَلا تَصْـحُـو...! أَتَـبْقَى مُمَزَّقًـا
شَتِـيْتًـا عَلَى الأَهْـوَاءِ تَلْهَـثُ جَارِيَا

تَقَـدَّمْ...! فَمَا زَالَـتْ لَدَيْنَـا بَقِـيَّةٌ
مِنَ الـعَـزْمِ تَسْـتَـنْهِضْ عُصُـوراً خَوَالِـيَا

هَلُمَّ...! فَمَا زَالَـتْ بَقِـيَّةُ نَخْـوَةٍ
إِذَا عَصَـفَـتْ هَزَّتْ جِبَـالاً رَوَاسِـيَا

فَوَاعَـجَـبًـا يَا دَارُ... كَمْ هَزَّكِ الهَـوَى
وَكَـمْ لَجَّ فِي سَاحَـاتِـكِ الـشَّـوْقُ دَاعِـيَا

أُولَئِـكَ أَنْـسَـابُ الـبُـطُولَـةِ جَرَّدُوا
عَلَى الـرَّوْعِ أَنْـصَـالاً وَشَـقُّـوا الـدَّوَاجِيَا

يَصُـوغُـهُـمُ الإِيْمَانُ جَوْهَـرَ هِمَّةٍ
وَيَنْـثُـرُهُـمْ بَيْنَ الـلَّيَالِي دَرَارِيَا

فَأَيُّ الـرَّوَابِي لَمْ تُرَوِّ دِمَـاؤُهُـمْ
عَلَى نَفَـحَـاتِ المَـجْـدِ تُزْكِـي مَعَـالِـيَا

مِنَ الـصِّـينِ تَنْـفَضُّ الـوُرُودُ بِعِـطْرِهِـمْ
إِلى المَـغْـرِبِ الأَقْـصَى وَتُـزْكِي النَّـوادِيَا

١٩٤٧[1]

(١) أُضيف إليها أبيات عام ١٩٧٥

آيةٌ في السّبيل



في مدينـة حلب. . . دعاهُ أصحابه إلى «السبيل» وهو منتزه جميل . . . فرَأى هنالك آية وعِبْرَة .

آيـةٌ في السّبيل

هَيَّجُـوْهُ بالـذِّكْـرَيَاتِ الحَـيَارَى
وَأَثَـارُوا حَنِـيْنَـهُ وَأَثَـارَا

ذِكْـرَيَاتٌ مُبَـعْـثَـرَاتٌ مَعَ الـعُـمْـ
ـرِ أزَاحُـوا وِشَـاحَـهَـا والـسِّـتَـارَا

ضَمَّـهَـا مِنْ صِبَـاهُ جَفْـنٌ خَليٌّ
كُلَّمَا حنَّ دَاعَـبَ الأَوْتَـارَا

وَدَعَـوْهُ إلى «الـسَّـبِـيل» فَغَـنَّـى
لَيْلَهُ وَالـعَشِيَّ والأَسْـحَـارا

وَمَـعَـانِي الهَـوَى عَلَى شَفَـتَـيْهِ
تَائِـهَـاتٍ فلمَّـهَـا أَشْـعـارا

وَعَـلى جَفْـنِـهِ رُؤى غَافِـيَاتٌ
فَأَفَـاقَـتْ رِضـاً وَلَانَـتْ عَذارَى

وَالخَـيَالُ الشَّرُوْدُ مَوْجُ طُيُوفٍ
يَتَـحَـرَّى مِنْ بَيْنِهَـا الأَبْـكَـارَا

فَتَـنَـاوَلْـتَ يَا «سَـبِـيْلُ» غِرَاسـاً
مِنْ رُؤَاهُ سَقَـيْتَـهَـا وَثِـماَرَا

وَانْـتَـقَـيْتَ الْمـرُوجَ آفَـاقَ أَلْحَـا
ظٍ وَمِـنْ زَهْـوَةِ الـصِّـبَـا أَزْهَـارَا

لَمْ تَدَعْ وَرْدَةً عَلَى خَدٍّ حَسْـنَـا
ءَ وَلَا فُلَّةً وَلَا جُلَّنَـارَا

وَنَـدِيَّ الـظِّلَالِ... ! دُنْـيَا جُفُـونٍ
كَمْ أَعَـارَتْـكَ هَمْسَـةً وَسِرَارَا

وَالـغُـصُـونَ الـلِّدَانَ... رَفَّ الـصَّـبَـايَا
عَطَفَـتْ رِقَّـةً وَمَـالَـتْ نِفَـارَا

وَجَـرى المـاءُ... صَفَّـتَاهُ طُيُوفٌ
حَمَلَتْ مِنْـهُ فِضَّـةً ونُـضَـارَا

وَمَضَتْ حَوْلَهُ تَفُضُّ مِنَ النَّجْـ
وَى هَوَاهَا وَهَمْسَةً وَحِوارًا

بُرْعُمًا زَقَّ بُرْعُمًا وَصَبَايَا
نَافِرَاتٍ مِنَ الصَّبَايَا غَيَارَى

يَمْرَحُ الطَّيْرُ.. تَحْتَ كُلِّ جَنَاحَيْـ
ـنِ هَوَى حائِرُ الصَّدَى يَتَوارَى

النَّسِيمُ العَلِيلُ، أَمْ خَفَقَةُ المَا
ءِ أَعَادَتْ مِنَ الصَّدَى أَخْبَارا

أَمْ رَفِيفُ الغُصُونِ...! أَمْ أَنَّةُ الشَّوْ
قِ تَهُزُّ الحِلَى وَتُغْرِي السِّوَارَا

أَيُّ لَحْنٍ مُرَجَّعٍ مِنْ خَيَالٍ
لَمْ تُرَجِّعْهُ بُلْبُلاً وَهَزَارَا

★ ★ ★

أَيُّ مَغْنَى تَخْضَلُّ مِنْهُ اللَّيَالي
فَضَّ أَكْمَامَهُ وَنَظَّمَ غَارَا

أَيُّ لَوْنٍ مُخَضَّلٍ مِنْ جَمَالٍ
لَمْ يَفُضَّ السَّبِيلُ عَنْهُ سِتَارا

نَتَـلَقَّـاهُ   مَائِـجًـا   في   شَذَاهُ
مُلْقِـياً   مِنْ   ظِلاَلِـهِ   أَنْـوَارَا

وَالـصِّـبَـا   لَمْ   تَزَلْ   عَلَى   وَجْـنَـتَـيْهِ
حُمْرَةُ   الـشَّـوقِ   خِلْسَـةً   وَجِـهَـارَا

هِيَ   كَالـشَّـمْسِ   حِينَ   تَسْـبَـحُ   في   الأُفْـ
ـقِ   شُعَـاعَـاً   مُمَوَّجًـا   وَشَرَارَا

لاَنَ   بين   الـسَّـحَـابِ   وشْـيًا   فَلَمَّا
ضَمَّـهـا   رِدَّ   وشْـيَهُ   زُنَّـارَا

هكَـذَا   يَعْـبَـثُ   الهَـوَى   عِنْـدَ   خدَّيْـ
ـهِ   فَتُـلْقِـي   هُنَـاكَ   نُوْراً   ونَـارَا

وَعَـلى   مُقْـلَتَـيْهِ   تَنْـتَـفِضُ   الـسُّـحْـ
ـبُ   وَتَـغْـفُـو   نَدِيَّةً   وَسُـكَـارَى

لَمْ   تَزَلْ   عِنْـدَهَـا   بَقِـيَّةُ   أَطْـيَا
فٍ   تَلُمُّ   الـخُطَا   وَتَـطْوِي   الإِزَارَا

وَشَـظَايَا   مِنَ   الـصَّـدَى   وَبَـقَـايَا
مِنْ   رُؤَى   نَشْـوَةَ   الـصِّـبَـا   والـعَـذَارَى

وَطَوَى الفَجْرُ ما تَخَلَّفَ مِنْهَا
وَذُيُولاً تَعَشَّرَتْ وَإِزَارَا

★ ★ ★

وانْقَضَى اللَّيْلُ حَوْلَهُ وَبَقَايَا
لَمْ تَزَلْ مِنْهُ مُثْقَلاتٍ حَيَارَى

غابَ ذاكَ الجَمَالُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا
أَثَرًا... ! هَلْ تَرَى لَه آثَارا

أَيْنَ تِلْكَ الخُدُودُ... ! أَيْنَ جُفُونُ
أَيْنَ ذَاكَ الصِّبَا أَثَارَ وَثَارَا

غابَ في وَمْضَةِ الزَّمَانِ وَمَا تَدْ
رِي خُطَاهُ دُرُوبَهَا والمَسَارا

غابَ في حَمْأَةٍ مِنَ الوهْمِ يَلْقَى
مِنْ حُمَيَّاهُ فِتْنَةً وعِثَارَا

وَانْجَلَى مِنْ مَوَاكِبِ الفَجْرِ آيا
تٌ تَشُدُّ القُلُوبَ والأَبْصَارَا

فالسُّكُونُ النَّدِيّ يَنْطِقُ بالحَقْ
قِ بَيَانًا عَلَى المَسَامِعِ دَارَا

وَرَفِـيْفُ الـوُرُوْدِ لَيْسَ صَبَـابَـا
تٍ لِدَانُ الـغُـصُـون لَيْسَـت عَذَارَى

والـنَّـدَى لم يَكُـنْ دُمُـوعَ الـغَـوَاني
والأَزاهِـيْرُ لَمْ يكُـنَّ سُكَـارَى

كَانَ نَفْـحًـا مِنَ الْخُـشُـوعِ نَدِيًّا
وَجَـلالاً يَفُـضُّـهُ أَنْـوَارَا

وَدُعَـاءً يَمُـوجُ في عَالَمِ الـصَّـمْـ
ـتِ يُنَـدِّي الـتَّـسْـبِـيحَ والأَذْكَـارا

وَنِـدَاءً عَلَى صَدَاهُ الـلَّيَالي
رَجَّـعَـتْ هَدْيَهُ وَخَـاضَـتْ غِمَارَا

وَانْـتَـشَـتْ زَهْـوَةً فَأَغْـضَـتْ حَيَاءً
وانَـحَـنَـتْ مِنْ جَلاَلِـهِ إِكْـبَـارَا

عَالَمَ الحَـقِّ، وَالـشَّـذَا من طُيُوفٍ
رَفْـرَفَـتْ في خُشُـوعِـهَـا أَطْـهَـارَا

* * *

عَالَمَ الـوَهْـم. . .، ! كَمْ قَتَـلْتَ نُفُـوسَـاً
وأَضَـعْـتَ الـشَّـبَـابَ والأَعْـمَارَا

وَثَـبَـتْ شَهْـوَةُ الـذِّئَـاب عَلَيْهِ
عَادِيَاتٍ وَأَنْـشَـبَـتْ أَظْـفَـارَا

نَزَعَـتْ نابَهَـا الُمـدمَّـى والْـقَـتْ
بالـضَّـحَـايَا وَأَدْبَـرَتْ إِدْبَـارَاَ

أَيُّ تِيْهٍ تَمُوجُ فِيْهِ الـلَّيَالي
وَتُـدَوِّي دُرُوْبُـهُ إِعْـصَـاراَ

رَبِّ لي تَوْبَـةٌ تَرِفُّ عَلى الأَحْـ
نَاءِ يَطْوِي نَدِيُّهَـا الأَوْزَارَا

١٩٥٤

غيَاب



معان كثيرة من النبل والأخلاق غابت عن حياتنا الاجتماعية وتبدلت في زحمة الهوى والشهوات، فتبدل الأمن في النفوس إلى قلق، وتبدل الصفاء إلى اضطراب.

غيـاب

مَضَـيْتِ...! وخَـلَّفْـتِ أَشْـوَاقَ نَفْسِي
تَمُوجُ وَتَهْـوَى نَدِيَّ الخِـلالْ

وَغِـبْـتِ...! وكَـفَّـايَ تَنْـطَلِقَـانِ
تَشُـدَّانِ في عَالَمٍ مِنْ خَيَالْ

★ ★ ★

دَعَـوْتُـكِ... لَمْ تَسْـمَـعي أَضْـلُعِـي
تَرِفُّ وَقَـلْبًـا يُدَوِّي دَوِيًّا

وَرُحْـتِ... مَعَ الأُفْـقِ في وَمْـضَـةٍ
وَبِـتُّ أُطَـارِدُ شَوْقِـي مَلِيًّا

★ ★ ★

عَرَفْـتُـكِ مِنْ قَبْـلُ دُنْـيَا الـوَفَـاءِ
وَدُنْـيَا الـرِّضَـاءِ وَعَـهْـداً سَخِـيًّا

دَعَــوْتُــكِ مِنْ قَبْــلُ هَلْ تَذْكُــرينَ
فَأَقْــبَــلْتِ بِشراً وَوَجْــهَــا رَضِــيًّا

★ ★ ★

عَرَفْــتُــكِ وَجْــهًــا تَفِــيضُ الحَــيَاةُ
عَلَى وَجْــنَــتَــيْهِ وَثَــغْــراً بَسَــمْ

وَعَــيْنَــاكِ تَسْــكُــبُ فِي نَاظِــرَيَّ
ضِيَاءً وَفِي الــرُّوحِ حُلْوَ الــنَّــغَــمْ

★ ★ ★

هُنَــاكَ عَرَفْــتُــك هَلْ تَذْكُــرينَ
مَرَابِــعَــنَــا الخُضْرَ والجَــدْوَلا

وَسَــاحًــا غَرَسْــنَــا عَلَيْهِ الأَمَــاني
وَرَوْضــاً سَقَــيْنَــاهُ والمَــنْــزِلا

★ ★ ★

هُنَــاكَ ضَمَــمْــتُــكِ فِي أَضْــلُعِــي
وَأَغْــمَــضْــتُ جَفْــنِي وَلَمْ أَنْــدَمِ

كَتَــمْــتُــكِ فِي الــقَــلْبِ مَعْــنَــى الحَــيَاةِ
أُغَــذِّيْهِ مِنْ كَبِــدِي أَوْ دَمِــي

★ ★ ★

هُنَــاكَ على المَــرْجِ سَاحَــاتُــنــا
طَرَحْــنَــا عَلَيْهَــا هُمُومَ الــكَــلَالْ

وَغِـبْـنَـا عَلَى جَنَـبَـاتِ الـرُّبَـى
ظِلالاً ترِفُّ ودُنْـيَا خيَالْ

★ ★ ★

هُنَـاكَ صَنَـعْـتُـك مِنْ أَضْـلُعِـي
وصُـغْـتُـكِ مِنْ فِكْـرَةٍ عَبْـقَـرِيَّة

أُذِيب عَلَيْكِ رَحِـيَّ الْمُـنَـى
وأُلْـقـي عَلَيْكِ الـرِّغَـابَ الـسَّـخِـيَّة

★ ★ ★

أَتَمْـضِـينَ والـنَـاسُ تَبْـقَـى هُنَـا
تُطَالِـعُ مِنْـكِ سَرابًـا يَغِـيبْ . . . !

وَكُـنْـتِ هُنَـالِـكَ آمَـالَهُـمْ
وَرُوحًـا لَها خَفْـقَةٌ أَوْ وَجِيْبْ . . . !

★ ★ ★

أَتَمْـضِـينَ عَنَّـا وأَبْـقَـى هنـا
أَشُـُّق الـدُّرُوبَ وأَطْـوِي الـزَّمْـن . . . !

أُوَدِّعُ في الأُفْـق آمَـالَ قَومـي
وَأَدْفِـنُ رُوحِـي بِهـذي الـدِّمَـنْ . . . !

★ ★ ★

تَئِـنُّ ضُلُوعِـي وَمَـا يَسْتَـجِـيْبُ
لِهَذَا الأَنِـينِ سِوَى أَضْـلُعِـي
شَجِـيًّا أُحِـرِّقُ آلامَ نَفْسِي
وَأَطْـوِي لَظَاهَـا عَلَى أَدْمُـعِـي

★ ★ ★

إِذَا غِبْـتِ فالـنَّـاسُ دُنْـيَا وُحُـوش
وَضِرْسٌ يَدُقُّ وَنَـابٌ قَطَعْ

تَسُـوقُـهُـمُ مُغْـرِيَاتُ الـدّنـايا
وَتُمْـعِنُ فِيْهِـمْ شِفَـارُ الـطَّمَـعْ

★ ★ ★

تُمَزِّقُ أَرْحَـامَـهَـمْ والـصِّـلَاتِ
وَتَـغْـلِبُـهُـمْ شَـهْوَةٌ مِنْ عُتَـاةِ

وَتُـطْوَى الْمُـروءَةُ في حَمْأَةٍ
تُبَـكِّـي عَلَى ثُلَّةٍ مِنْ أُبَـاةِ

★ ★ ★

أَدُنْيَـا الـوَفَـاءِ...! أَأَنْسَى هَـواكِ !
وَإِنْ غِبْـتِ...! ما زَالَ فَيْضًـا جَنَـاكِ

فَكَـمْ قَدْ وَهَـبْـتِ جَدِيبَ الـنُّـفُـوس
نَدِيًّا وَأَغْـدَقْـتِ نُعْـمَـى نَدَاكِ

★ ★ ★

فَدُنْـــيَاكِ عُلْوِيَّةُ الْمـــجْــتَــنَــى
تَفُضُّ مَغَــانِــيكِ عِطْراً شَهِـــيَّا

تَرِفُّ مِنَ الــوَحِـــي أَنْـــدَاؤُهُ
فَتُــزْهِـــرُ رَوْضًـــا وَتَـــزْكُـــو جَنِـــيَّا

★ ★ ★

١٩٥٤

آفاق



وقف هناك . . . في ساعة من ساعات الغروب، ينظر إلى الأفق تتبدَّل فيه الألوان. حتى إذا حلَّ الظلام، وغابت الألوان والطيوف، وبرزت النجوم كأنها قناديل معلقة في السماء رأى في نفسه كذلك آفاقاً تمتد يتبدَّل فيها الضِياء والظلمة . . . وحوله أمّة تغيب بَيْنَ آمالٍ وضياع.

ورأى الفجر في صفوه وهدوئه ولألائه. فَبَيْنَ آفاقِ الكون الممتدة الواسعة، وبين آفاق نفسه كذلك، رأى آيات وآيات تتلاقى عندها كل الآفاق، في مواكب تسجد كلها لله خاشعة . . .

آفَاق

أَلَمٌّ عَلَى أَجْفَانِيَ الأُفْقَ والمَدَى
فَأَجْمَعُهُ ظِلاًّ وَأَنْشُرُهُ نَدَى

تَحَيَّرتِ الأَلْوَانُ فِيْهِ كَأَنَّمَا
نَثَرْتُ عَلَيْهِ الشَّوْقَ نَثْراً مُجَدَّدا

يَمُوجُ أُوَارُ النَّفْس بَيْنَ احْمِرَاره
عَلَى شَفَقٍ غَافٍ وَذَيْلٍ تَبَدَّدَا

بقــاياهُ أَشْتَــاتُ الــضَّـيَاع تَنَــاثَــرَتْ
عَلَى خَجَــلٍ هَاجَ الأَســى فَتَــوَرَّدا

فَتَــهْــوِي الــطُّيُوفُ الحُـمْــرُ خَلْفَ حُطَامِــه
عَلَى ظُلْمَــةٍ دَكْـنَــاءَ لَمْ تُبْــقِ مَنْــفَــدَا

كَأَنَّ الــدُّجَــى مَوْجٌ تَعَــلَّقْــنَ فَوْقَــهُ
قَنَــادِيْلَ كَمْ هَيَّجْــنَ نَجْــمًا وفَــرقَــدَا

غَفَــوْنَ... وَمَــرَّ الــفَجْــرُ يَطْوِي شَتَــاتَهَــا
وَيَنْشُرُ من لألائــه مَا تَوقَــدّا

وَإِمَّــا صَفَــتْ نَفْسٌ وَطَــابَ بِهَا المُــنَــى
بَدَا الأُفْــقُ صَفْــواً طَابَ حُسْــنًــا وَمَــوْرِدَا

عَلَى زُرْقَــةٍ ذَابَ الحــنَــانُ وخَــفْــقُــهُ
عَلَيْهَــا اصْــفِــرَاراً عَادَ دُرًّا وَعَــسْــجَــدَا

★ ★ ★

هُنَــالِــكَ مَا ضَيَّعْــتُ نَظْرَةَ خَاشِــعٍ
وَلاَ فَقَــدَتْ نَفْسِي مَعَ الأَمْــنِ مُنْــجِــدَاً

أَطُــوف كَمَا طَافَ الجَــمَالُ وأَجْــتَــلِي
رُؤَى عَبْــقَــرِيَّاتِ الجــمالِ وَمَــشْــهَــدَاً

أَزَحْـتُ هُمُومَ الـعُـمْـرِ أَلْـقَـى مَواكِـبـاً
مِنَ الخَـيْرِ فَضَّـتْ دُونَهَا آيَةَ الهُـدَى

تُرَجِّـعُ آمَـاداً مَضَـيْنَ وَحِـكْـمَـةً
يُجَدِّدْنَ آياتٍ وَيَعْـرِضْـنَ مَوْلِـدَا

مَوَاكِـبُ . . . ! فاشْـهَـدْ عِنْـدَهَـا كلَّ آيَةٍ
ورَتِّـلْ عَلَى آيَاتِهَـا الحَـمْـدَ والـنَّـدَى

مَوَاكِـبُ . . . ! ما في الـكَـوْنِ إلا خُشُـوعُهَـا
وَكُـلُّ الـذي بَيْنَ الـضُّـلُوعِ له صَدَى

★ ★ ★

مَدَدْتُ بِآمَـالي إلى الأُفْـقِ عَلَّني
أرى قَبَـسـاً أَهْـدَى إلـيَّ وَأَرْشَـدَا

رَجَـعْـتُ وَفي نَفْسِي دَوِيٌّ وَحَـيْرَةٌ
وَعَـادَتْ بِيَ الآمَـالُ تَسْـأَلُـنِي يَدَا

تَقُـولُ: حَنَـانَـيْكَ . . . الـضِّـيَاءُ جَمِيعُـهُ
بِذَاتِـكَ . . . ! فَانْشُـدْ إنْ رَغِبْتَ بِهَا الهُـدَى

بِذَاتِـكَ . . . في عَيْنَـيْكَ . في الـقَـلْب في يَدٍ
عَلَى خَفَـقَـاتِ الـشَوْقِ هَيَّجْـنَ أَكْـبُـدَاً

بِرَجْـعَـةِ أَنْـفَـاسٍ... بِلَهْـفَـةِ أَضْـلُعٍ
بإشراقَةٍ... بالعَيْشِ... بالسَّعْيِ... بالرَّدَى

هُنَـا...! في بَنَـانٍ دَقَّ صُنْـعـاً وآيَةٍ
وَجَـارِحَـةٍ تَجْلُو لِعَـيْنَـيْكَ مَوْرِدَا

وَفِي فِطْرَةٍ أُوْتِـيْتَـهَـا لو سَأَلْـتَـهَـا
عَنِ الحَـقِّ قامَـتْ كَيْ تُبِـينَ وَتَـشْـهَـدَا

بِذَاتِـكَ...! في جَنْبَيْكَ... آفَـاقُ عَالَـمٍ
فَسِـيحٍ... وَأَنْـوَارٌ وَمَـوْجٌ مِنَ الـصَّـدَى

تَأَلَّـقُ أَوْ تَحْنُـو بِضَـوْءِ شُمُـوسِـهَـا
أَمـانـاً وَتَـبْـتَـلُّ الجَـوَارِحُ بالـنَّـدَى

كَأَنَّ الأَمَـانِيْ بَيْنَ جَنْـبَـيْكَ رَوْضَـةٌ
تَفَـتَّـحُ عَنْ زَهْـرٍ وَتَهْـتَـزُّ بالجَـدَا

تُبَـلِّلُهَـا نُعْـمَـى الـيَقِـين... بِرِيِّـهَـا
وُرُوداً وَتَـسْـقِـيْهَـا الـبَـشَـائِـرُ سُؤْددا

صَفَـا حُسْنُهَـا... حَتَّى إِذَا اضـطَرَبَ الهَـوَى
بِنَـفْسٍ طَوَى آفَـاقَـهَـا الـلَّيْلُ أَسْـوَدَا

يَمُــورُ مِنَ الأَهْــوَاءِ مَوْجُ ظَلاَمِــهَــا
وَيَهْــدُرُ شَوْقٌ ضَجَّ فِيهَــا وَأَرْعَــدَا

إِذَا أَوْمَــضَــتْ بَيْنَ الــدَّيَاجِــيرِ شَهْــوَةٌ
رَجَــعْــنَ دُخَــانًــا خانِــقًــا فِيهِ أَرْبَــدَا

★ ★ ★

رَجَــعْــتُ وَأَضْــحَــى الأُفْــقُ، مَهْــما نَأَى به
مَدَى، عَادَ يَدْنُــو مِنْ فُؤادِيَ مُرْشِــدَا

هُنَــالِــكَ آفَــاقٌ تَمُرُّ وَهَــا هُنَــا
كذلــك آفَــاقٌ تُوَاكِــبُ مَوْعِــدَا

تَلاقَــتْ عَلَى آيَاتِهَــا. . .! فَكَــأَنَّــمَا
رَأَيْتَ بِهَا الــدُّنْــيَا خُشُــوعًــا وَمَــعْــبَــدَا

هُوَ اللهُ. . .! فانْــظُرْ حيثُــما شئــتَ آيَةً
بِهَا سُجَّــداً للهِ يَتْــبَــعْــنَ سُجَّــدَا

★ ★ ★

١٣٩٨هـ
١٩٧٨م

توفي والدي علي رضا النحوي بدمشق عام ١٩٥٦ كنت بعيداً عنه... في الكويت...! لم أقل فيه رثاء آنذاك، ومضت السنون، وبعد ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً كنت أذكر خلالها دروسه، وَصَبْرَه، وجهادَه الصامت وفي لحظة على غير موعد، نظمت هذه الأبيات اذكره وأذكر معه مرحلة من التاريخ.

أبتاه ... أين الفجر ...! كم رَاقَبْتُهُ.... !

أَلْقَيْتُ مِنْ ذِكْرَى الحَنَانِ ظِلاَلاَ
وَرَأَيْتُ مِنْ بَيْنَ الطُّيُوفِ خَيَالاَ

أَغْمَضْتُ أَجْفَاني لأَطْوِيَ بَيْنَهَا
طُوْلَ المَدَى وَأُقَرِّبَ الأَجْيَالاَ

وَمَدَدْتُ مِنْ كَفِّيَّ رَعْشَةَ وَامِقٍ
بَيْنَ الرُّؤى تَتَلَمَّسَانِ مِثَالاَ

وَمَدَدْتُ مِنْ نَظَرِيْ إِلَيْهِ صَبَابَةً
وَمَدَدْتُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ وِصَالاَ

يَا طِيْبَ طَلْعَتِهِ وَطِيبَ وَقَارِهِ
جُمِعَا فَكَانَا زِيْنَةً وَخِلاَلاَ

طَيْفًا أَلَمَّ عَلَى الدُّجَى فَعَرفْتُهُ
إِشْرَاقَةَ القَسَمَاتِ والإِقْبَالاَ

أَبَتَاهُ... ! يا طُولَ السُّرى دَفَعَ الخُطَى
يَتَقَحَّمُ السَّاحَاتِ والأَدْغَالاَ

تَتَنَاثَرُ الأَشْوَاكُ تَدْمَى دُوْنَهُ
لِيَشُقَّ بَيْنَ دُرُوبِهِ الآمَالاَ

أَبَتَاهُ... ! يَا طُوْلَ السِّنِينَ حَمَلْنَني
وَرَجَعْنَ بِي الأَزْمَانَ والتَّرْحَالاَ

* * *

أَعَلَى رُبَى «آسْتَانْبُولَ» أَمْ بِضِفَافِهَا
لَوَّحْتَ «قَاصِمَةً»[1] وَخُضْتَ نِضَالاَ

وَمَعَ «الشَّبَابِ المُؤْمِنِينَ»[2] دَفَعْتُمُ
دُونَ الحِمَى الآسَادَ والأَشْبَالاَ

دَارُ الخِلاَفَةِ وَالمَكَائِدُ حَوْلَهَا
قِطَعٌ تَحُوْكُ مِنَ الظَّلاَمِ حِبَالاَ

(١) حين وثب بعصاه يضرب أحد دعاه القومية التركية.
(٢)الذين يدعون إلى الخلافة.

تَلْتَـفُّ حَوْلَ ضُلُوعِـهَـا فَتَـشُـدُّهَـا
وَتُمَـزِّقُ الأَعْـضَـاءَ والأَوْصَـالاَ

وَإِذَا «شِـعَـارِ الجَـاهِـلِيَّةِ»[1] رَايَةٌ
خَفَـقَـتْ لِتَـحْـشُـدَ فِتْـنَـةً وَضَـلاَلاَ

وَإِذَا «بِـطَائِـفَـةٍ»[2] تَشُـدُّ على المُـدَى
طَعْـنًـا يُدَمِّـي الـكَـفَّ والأَنْـصَـالاَ

نَظَرَتْ عَلَى الـظَّلْمَاءِ تَحْسَـبُ أَنَّهَا
هَاجَـتْ عَلَى نَحْـرِ الـعُـدَاةِ قِتَـالاَ

فَإِذَا الـنِّـصَـالُ جَمِيْعُـهَـا بِنُـحُـورِهَـا،
بِقُـلُوبِهَـا . . . ! وَدَمٌ هُنَـالِـكَ سَالاَ

مَاتَـتْ مُرُوءَاتُ الـرِّجَـالِ فَلَمْ تَعُـدْ
تَلْقَـى عَلَى أَلَمِ الـشِّـفَـارِ رِجَـالاَ

أَبَـتَـاهُ . . . ! ما زِلْـنَـا عَلَى طَعَـنَـاتِهِـمْ
نَدْمَـى . . . ! وَيَنْـزِفُ جُرْحُـنَـا الأَهْـوَالاَ

★ ★ ★

---

(١) القومية.

(٢) الفئة التي كانت تدعُو إلى الإقليمية والقومية لتمزيق ديار المسلمين.

أَبَتَـاه. . .! يَاطُـوْلَ السُّرَى، لَمَّ الـدُّجَى النْـ
نَظَرَاتِ والخُـطُوَاتِ والأَثْـقَـالَا

أَبَـتَـاهُ. . .! أَيْنَ الـفَـجْـرُ. . .! كَمْ رَاقَبْتَـهُ
فِي الأُفْـقِ. . .! لَمْ نَلْمَـحْ لَهُ إِطْـلَالَا

مَاتَــتْ عَلَيْهِ جُفُــونُـنَـا تَطْوِي الْمُـنَــى
تَهْوِيْ عَلَى خَدَرِ الـزَّمَـانِ كَلَالَا

سَنَـظَلُّ، مَهْـمَا طَالَ هَذَا الـلَّيْلُ، نُشْـ
عِلُهُ بِوَمْضِ قَنَـاتِـنَـا إِشْـعَـالَا

★ ★ ★

أَبَـتَـاهُ. . .! كَمْ طَوَّفْـتَ بَيْنَ دِيَارِهَـا
أَنَّــى اتَّجَـهْـتَ رَأَيْتَ فِيْهَـا الآلَا

وَصَـلَتْ مَغَـارِبُهَـا بِطِيبِ وُرُودِهَـا
شَرْقًـا وَوَثَّـقَـتِ الـعُـرَى وَحِـبَـالَا

وَكَـأَنَّـمَا الـبَـيْتُ الحَـرَامُ وَطِـيْبَـةٌ
والمَـسْجِـدُ الأَقْـصَـى يَفِـضْـنَ نَوَالَا

قَلْبًـا يَمُـدُّ هُدًى عَلَى خَفَـقَـانِـه
يَرْوِيْ الـعُـرُوقَ وَيَدْفَـعُ الأَوْصَـالَا

نُوراً يَمُـوجُ مِنَ الـنُّـبُـوَّةِ عِنْـدَهَـا
يَسْـكُـبْـنَـهُ مِلءَ الـرُّبَـى شَلَّالَا

★ ★ ★

حَالَـتْ مَنـازِلُهَـا وَجَـفَّ بِهَا الـنَّـدَى
عَصْـفَ الـرِّيَاحِ وَأَعْـوَلَـتْ إِعْـوَالَا

الحَـادِثَـاتُ تَمُورُ فِي أَحْـشَـائِـهَـا
وَتَـثُـورُ بَيْنَ رُبُـوعِـهَـا زِلْـزَالَا

فَتَـمَـزَّقَـتْ مِنْهَـا الـقُـلُوبُ وَقُـطِّعَـتْ
مِنْهَـا الـكُـبُـودُ وَبَدَّلَـتْ أَحْـوَالَا

★ ★ ★

عَاصَرْتَهَـا . . . ! والـلَّيْلُ يَدْفَـعُ مَوْجَـهُ
وَيَمُـدُّ خَلْفَ حُدُودِهَـا الأَذْيَالَا

أَدِمَـشْـقُ أَمْ عَمَّانُ كَانَـتْ مَوْئِـلًا
أَرْعَـدْتَ فِي سَاحَـاتِهَـا رِئْـبَـالَا

لَمْ تَرْضَ يَا أَبَـتَـاهُ أَنْ تَبْـقَـى كَمَا
بَقِـيَ الـعَـبِيْدُ تُعَـانِـقُ الأَغْـلَالَا

حَطَّمْـتَـهَـا . . . ! وَمَـضَـيْتَ لَا تَلْوِي عَلَى
كِبْرٍ يُذِلُّ وَزُخْـرُفٍ قَدْ زَالَا

وَطَـرَحْـتَ أَلْـقَـابًـا وَقُـمْـتَ لِهِمَّـةٍ
جَعَـلَتْ مَرَامِـيَهَـا أَعَـزَّ مَنَـالَا

الـشَّـامِخَـاتُ مِنَ الـعُـلَا أَدْنَـيْتَـهَـا
بِيَدٍ فَكَـانَ لَهَا نَدَاكَ مَآلَا

وَنَـزَلْـتَ «كَـنْـعَـانَ»[1] النَّـدِيَّ وَسَـاحَـةً[2]
نَفَـحَـتْ مِنَ الـدَّمِ طِيبَـهَـا إِرْسَـالَا

دَفَـعَـتْ عَلَى مَوْجَ الـرَّدَى أَكْـبَـادَهَـا
تَصِـلُ الـزَّمَـانَ وَتُـنْـبِـتُ الأَبْـطَالَا

بَيْنَ انْـتِـدَابٍ»[3] مَـدَّ سُمَّ نُيُوبِـهِ
شَرَكًـا وَأَلْقَـى بَيْنَـنَـا الأَحْـبَـالَا

يَبْـنِي «لِـصِـهْـيَوْنَ» الخَـيَالَ حَقِـيْقَـةً
قَهْـراً، يَحُلُّ ضَلَالَهُـمْ إِحْـلَالَا

عَجَبـاً لَهُمْ. . . ! باسْمِ «الحَضَـارَةِ» قَطَّعُـوا
دَاراً وَخَـطُّوا لِلحُـدُودِ مَجَالَا

(١) كنعان جبل في مدينة صفد.
(٢) ساحة: أي فلسطين وبلاد الشام.
(٣) الانتداب الانكليزي على فلسطين.

سَتَـظَلُّ هَاتِـيكَ الحُـدُودُ عَلَى المَـدَى
جَرْحًـا يَئِـنُّ وَصَـيْحَـةً تَتَـعَـالَى

سَتَـظَلُّ تُطْلِقُ مِنْ نَزيفِ دِمَـائِـهَـا
شِيْبًـا تَقُـوْدُ إلى الـفِـداَ أَنْـجَـالاَ

★ ★ ★

يَالَـلْجَـرِيمَـةِ...! لَمْ تَرَ الـدُّنْـيَا لَهَا
سَبْـقًـا وَلَمْ تَشْـهَـدْ لَهَا أَمْـثَـالاَ

هِيَ مَعْـرَكُ الإِسْـلَام مَدَّتْ سَاحَـهَـا
لِتَـخُـوضَ فَوْقَ مَدَى الـظُّنُـونُ مَجَالاَ

كَمْ سَاوَمُـوكَ لِكَـيْ تَبِـيْعَ تُرابَهَـا
بالـتِّـبْرِ، كَمْ نَثَـرُوا لَهَا الأَمْـوَالاَ

عَظُمَـتْ نُفُـوسُ المُـؤْمِـنِـينَ فَأَرْخَـصَـتْ
مَا فَتَّـحُـوا بِبَرِيْقِـهِ الأَقْـفَـالاَ

وَسَـمَا بِكَ الإِيْمَانُ حَتَّـى أَبْصَرَتْ
عَيْنَـاكَ بَيْنَ تُرابِهَـا الأَجْـيَالاَ

جَبَـلَتْ عَلَى طِيْبِ الـدِّمَـاءِ جِهَـادَهَـا
مَجْداً تَأَلَّـقَ بَيْنَـهُ وَجَـلالاَ

وَرَأَتْ بِهِ التَّارِيْخَ يَصْنَعُ أُمَّةً
وَعَقِيدَةً تَبْنِي بِهِ الآمَالاَ

فَإِذَا بِأَصْغَر حَبَّةٍ فِي أَرْضِهَا
دُرٌّ يَشِعُّ وَجَوْهَرٌ يَتَلاَلاَ

وَصَلَتْ عَلَى نَفْحِ السَّمَاءِ مَرَابِعاً
خَشَعَ الزَّمَانُ أَمَامَهَا إِجْلاَلاَ

وَسَمَوْتَ بالشَّمَمَ الأَبِّي: رُوَيْدَكُمْ
تَلْقَوْا عَلَى هذا التُّرَابِ مَقَالاَ

إِنَّا لَنَغْرِسُهُ وَنَرْوِيْهِ الدِّمَا
كَيْ نُنْبِتَ الأَقْوَالَ وَالأَفْعَالاَ

★ ★ ★

«الثَّوْرَةُ الكُبْرَى»[1] نَزَلْتَ غِمَارَهَا
حِمَمًا تَصُبُّ عَلَيْهِمُ وَنكَالاَ

مَعْ عُصْبَةٍ تُوْرُوْنَ وَقْدَ عَزِيْمَةٍ
صَنَعَتْ لِلْمَلْحَمَةِ الحَيَاةِ رِجَالاَ

(١) ثورة ١٩٣٦ .

يَلْقَــى الــبَـيَانَ عَلَى ذُرَى رَبَـوَاتِهـا
مَنْ كَانَ يَطْمَـعُ أَنْ يُعِـيْدَ سؤالاَ

شُعَــلاً تُضِيءُ لَهَا لَـيَالِيَ عُرْسِـهَـا
وُدْيَانَها وَسُـهُـولَهَـا وَجِـبَـالاَ

مَهْـمَا أَصَــابَ «الإِنْــجِـليزُ» بِبَطْشِهِمْ
أَوْ جَــاوزُوا الــتُشْرِيدَ و الإِقْــلاَلاَ

أَوْ هَدَّمُــوا دَاراً وَسَــامُــوْا عُجَّــزاً
أَوْ رَوَّعُــوا بَيْنَ الحِــمَــى الأَطْــفَــالاَ

عَزَّتْ نُفُــوسُ الُمـؤْمِـنِـيْنَ فَلَمْ يكُــنْ
يَقْــوَى لِيَبْــلُغَ مِنْهُــمُ الإِذْلاَلاَ

★ ★ ★

خَفَّــتْ رُبَــى «بَـيْرُوت» تَلْقَــى فِيْكُــمُ
زَهْــوَ الُمــنَــى والــبِشْرَ والإِقْــبَــالاَ

وَدِمَــشْـقُ. . . ! يا طِيْبَ الـلِّقَــاءِ وَقَــدْ جَرَى
بَرَدَى يُعِــيْدُ صَدًى وَيَشْــكُــو حَالاَ

«الإِنْــتِـدَابُ» جَثَـا هُنَـالِـكَ فَالْـتَـقَـتْ
أَحْــقَــادُهُ الــسَّــوْدَاءُ حَيْثُ أَجَــالاَ

ذَبُـلَتْ عَلَى زُهْــرِ الــرِّيَاضِ وُرُودُهَــا
وَشَــكَــتْ لِتَــلْقَــى قَطْرَةً وَبلَالَا

مَا نَامَ أَبْـطَالُ الــشَّــآمِ عَنِ الــفِــدَا
فالــنَّــصْــلُ يُحْجَــزُ إِنْ أَرَدْتَ صِقَــالَا

نَهَضُــوا. . .! جُفُــونُهُمْ تُطِلُّ عَلَى الــرَّدَى
شَوْقًــا لِيَلْقَــوْا جَنَّـــةً وَظِــلَالَا

* * *

أَبــتَــاهُ. . .! أَيْنَ الْمشْرَعَــاتُ عَلى الــرُّبَــى
طُــوِيَتْ. . .! وَأَيْنَ الْمــرْعِــدَاتُ ثِقَــالَا. . .!

الْمــعْــطِيَاتُ إِلى الــسَّــحَــابِ بَوَارِقًــا
الآخِــذَاتُ مِنَ الــيَقِــينِ نِصَــالَا. . .!

سكَنَتْ. . .! فَمَنْ رَدَّ السُّيُوفَ لِغِمْدِهَا !
طُــوِيَتْ. . .! فَمَــنْ خَنَــقَ الــنِّــدَاءَ فَزَالَا

الأَهْــلُ. . .! وَالجِيرانُ. . .! والــرَّحِــمُ الَّــذِي
نَاشَــدْتُمُــوهُ مَوَدَّةً وَوِصَــالَا. . .!

وَرُؤَى مِنَ الأَشْــبَــاحِ فَوْقَ مَسَــارِحٍ
هَتَــفَ الــقَــطِيــعُ لَهَا وَشَــدَّ عِقَــالَا. . .!

* * *

وَمَـضَـيْتَ لَمْ تُسْـلِمْ زِمَـامَـكَ لِلْعِـدَى
صَبْراً عَلَى مُرِّ الـطِّرَادِ تَوالى

وَمَـضَـيْتَ في دَرْبٍ تَشُـقُّ صُخُـورَهُ
شَقّـاً وتَخْـضُـدُ شَوْكَـهُ الـقَـتَّـالاَ

لَمْ يُحْنِ «إقـلالٌ» جَبـيْنَـكَ مَرَّةً
وَنَـثَـرْتَ مِنْ عِظَمِ الـنُّـفُـوسِ الـنَّـالاَ[1]

لَمْ تَرضَ مِنْ دُنْـيَاكَ شَهْـوَةَ طَامِـعٍ
تُرْدِي الـبِـلاَدَ وَتُـسْـلِمُ الأَطْـفَـالاَ

لَمْ تَرْضَ زَخْـرُفَـهَـا يُرَاقُ أَمَـامَـهُ
عِرْضٌ وَيَطْوِي الـقَـهْـرَ والأَغْـلاَلاَ

فَحَـنَـا لَكَ الأَعْـدَاءُ هَامَـةَ صَاغِـرٍ
وَعَـلَوْتَ تَـنْـفَـحُ لِلْحَـيَاةِ جَمَالاَ

★ ★ ★

وَرَجَـعْـتَ. . .! أَنَّى طُفْـتَ فِي سَاحَـاتِهَـا
عَانَـقْـتَ أَعْـمَامـاً بِهَا أَوْ خَالاَ

---

(١) العطاء.

هِيَ أُمَّــةٌ جَمَعَتْ عَلَى أَرْحَــامِــهَــا
نَسَــبًــا مِنَ الإِسْــلَام طَابَ فِعَــالَا

وَحَمَــلْتَ مِنْ نَفْــحِ الجُــدُودِ، مِنَ الــتُّــقَى
عَزْمًــا يَزُفُّ مِنَ الــبِــشَــائِــرِ فَالَا

مَهْــمَا يَطُل لَيْلٌ فَإِنَّ صَبَــاحَــهُ
سَيُطِلُّ يُوْقِظُ نُوَّمًــا وَكُــسَــالَى

وَغَــداً مِنَ الــرَّحْمــنِ تَلْقَــى عِنْــدَهُ
أَمْــنًــا لِتُشْرِقَ بالــسَّــعَــادَةِ بَالَا

★ ★ ★

أَبَــتَــاهُ. . . ! يَا يَوْمَ الــنُّــزُوحِ كَأَنَّــهُ
يَوْمٌ تُرِيْدُ بِهِ الجِــبَــالُ زَوَالَا

كَمْ مَرَّةٍ جُزْتَ الحُــدُودَ وَكَــمْ مَضَــتْ
عَبْرَ الحُــدُودِ خُطًى تَخُوضُ نِزَالَا

والــيَوْمَ أَمْــوَاجٌ تُسَــاقُ لِمَهْــمَــهٍ
يَطْوِي عَلَى زُهْــرِ الــرَّغَــابِ رِمَــالَا

★ ★ ★

أَبَــتَــاهُ. . . ! هَذِي الشَّــامُ فَانْــزِلْ رَوْضَــهَــا
حُرًّا لِتَــلْقَــى شِيْمَــةً وَخِــلَالَا

المـؤمـنـون مِنَ المَـنَـابِـرِ أَطْـلَقُـوا
مَدَدَ الجِـهَـادِ وأَقْـبَـلُوا أَرْتَـالاَ

زَحَـفَـتْ صِفَـافُ الـنِّـيلِ يَدْفُـقُ مَوْجُـهَـا
وَصِـفَـافُ دِجْـلَةَ والـفُـرَاتِ قِتَـالاَ

وَتَـلَفَّـتَـتْ مِنْـكَ الـضُّـلُوعُ لِكَـيْ تَرَى
مَكْـراً يُحَاكُ وَخِـدْعَـةً وَخِـتَـالاَ

سَكَـتَـتْ بَنَـادِقُـنَـا وَغَـابَ دَوِيُّـهَـا
وَمَـضَـوْا عَلَى سَاحَـاتِهَـا قُفَّـالاَ

ضاعَـتْ فِلَسْـطِينُ الـنَّـدِيَّةُ فَانْـدُبي
يا نَفْسُ مِنْ حُلُمِ الجُـفُـونِ خَيَالاَ

وَنَهَضْـتَ والـصَّـحْـبُ الأَبِيُّ لِتَـعْـتَـلُوا
هُوْجَ الـصِّـعَـابِ وَتَـرْكَـبُـوا الأَهْـوَالاَ

وَنَهَضْـتَ. . . ! لَكِـنَّ الـقَـضَـاءَ إِذَا أَتَـى
أَخَـذَ الـنُّـفُـوسَ وَحَـدَّدَ الآجَـالاَ

وَنَـزَلْـتَ. . . ! والـقَـبْرُ الـنَّـدِيُّ كَأَنَّـهُ
يَرْوِي عَلَى مَرِّ الـزَّمَـانِ فِعَـالاَ

★ ★ ★

يَاقَــبْرُ أوْدِعُــكَ الأُبُــوَّةَ، وَالحَــنَــا
نَ وَدَمْــعَــةً، ورُؤًى مَضَــيْنَ عِجَــالاَ

يَا رَوْضَــةً...! وَكَــأَنَّــني أَبْــكِــي بهَا
صَفْــوَ الحَــنَــانِ وَأَنْــدُبُ الأَطْــلاَلاَ

وَكَــأَنَّــني أَلْــقَــى عَلَى زَهَــرَاتِهَــا
حُلْوَ الــنَّــدَى وَالــبِشْرَ والآمَــالاَ

بِالأَمْسِ أَوْدَعْــتُ الأُمُــومَــةَ رَوْضَــةً
وَسَــقَــيْتُــهَــا دَمْــعــاً هُنَــالِــكَ سَالاَ

يَارَوْضَــتَــيْنِ...! وَتِــلْكَ دَعْــوَةُ مُهْــجَــتِي
للهِ...! أُلْــقِــي ذِلَّــتِي وسُــؤَالاَ

أَنْ يَسْــتَــجِــيْبَ وَأَنْ يُفِــيْضَ بِرَحْمَةٍ
وَسِــعَــتْ تُنَــدِّي الــعُــمْــرَ وَالآجَــالاَ

يا «غُــوْطَــةَ الــشَّــام» الــنَّــدِيَّةِ رَفْــرِفي
بِالــطِّيْبِ مِنْ عُوْدَيْن عِنْــدَكِ مَالاَ

مُدِّي غُصُــونَــكِ، أَوْ أَطِــلِّي بالــنَّــدَى
بَيْنَ الــنَّــسِــيمَ سَرَى هُنَــاكَ وَجَــالاَ

١٣٩٨/٥/٤
١٩٧٨/٤/١١

الشيخ أحمد النحوي، كان قاضياً في عدة مدن في فلسطين، توفي في دمشق بعد النزوح . . . !

وبعد هذه الأعوام الطويلة التي حملت ذكريات كبيرة، التقيت مع طيفه.

عـمّاه أحـمد

أَلْـقَـيْتُ عَنْ نَفْسِي دَوِيَّ جِرَاحِـي
وَحَمَـلْتُ مِنْ أَمْسِي رَبِـيعَ صَبَـاحِـي

وَسَرَحْــتُ فِي الـذِّكْـرَى أَلُمُّ شَتَـاتَهَـا
بَيْنَ الـطُّلُولِ وَمَـلْعَـبٍ أَوْ سَاحِ

وَمَـنَـازِلٍ مَا زَالَ بَيْنَ ظِلاَلِهَـا
طَلٌّ وَأَصْـدَاءٌ وَطَـيْفُ مِلاَحِ

الحَـانِـيَاتُ عَلَى مَرَابِـعِـهَـا هَوًى
هَمْسَ الحَـنَـانِ ولَـفْـتَـةَ الأَفْـرَاحِ

نَدًى مَطَالِـعَـهَـا «رُؤَاهُ» وَرَفْـرَفَـتْ
مِنْـهُ ظِلاَلُ بَشَـاشَـةٍ وَسَـماحِ

عَمَّاهُ أَحْمَدَ... ! أَيْنَ طَيْفُكَ أَجْتَلي
مِنْهُ نَداوَةَ وَجْهِكَ الوَضَّاحِ

أَسْقِي مِنَ الذِّكْرَى الحَنَانَ لِيَرْتَوي
وَأُعِيْدُهُ زَهَرا وَطِيْبَ أَقَاحِي

فَأَرَاكَ يا عَمَّاهُ، نَفْحَةَ وَرْدَةٍ
عَبَقَتْ تَلُمُّ مَجَامِعَ الأَدْواحِ

★ ★ ★

يَا طِيبَ بَسْمَتِهِ... ! أَرَقُّ مِنَ النَّدَى
يَا طِيْبَ طَلْعَتِهِ وَفَأْلَ فَلاحِ

كَمْ نَدْوَةٍ أَرْخَيْتَ بَيْنَ ظِلاَلِهَا
عِلْمًا يَفِيضُ نَبَاهَةَ النَّضَّاحِ

يَا عَالِمَ الشَّرْعِ الحَنِيفِ وَحَامِلَ الـ
فِقهِ النَّقِيِّ عَلَى تُقًى وَصَلاَحِ

أَلْقَى مُحَيَّاكَ النَّدِيَّ كَأَنَّهُ
نُوْرٌ يُطِلُّ مِنَ الدُّجَى بِصَبَاحِ

تَهَبُ التَّواضُعَ والإِبَاءَ كَأَنَّما
تَهَبُ الشَّذَا لِمُصَاحِبٍ ومُلاحِي

يَلْقَـى عَلَى أَيِّ الـشَّمَائِـلِ رامَـهـا
أَرجًـا وَرِقَّـةَ نَسْـمَـةِ الإِصْـبَـاحِ

★ ★ ★

رَجُـلَ القَضَـاءِ...! وَكَمْ حكَمْتَ بفَيْصَـلٍ
مَا كَانَ فِي كَفَّـيْكَ أَيُّ سِلَاحِ

صُغْـتَ الـنَّـزَاهَـةَ والحِـجَى والـعِلْمَ أنْـ
صالَ الـبَـيَانِ وحُـجَّـةَ الإِفْـصَـاحِ

وَقَـطَعْـتَ لا حَزًّا يَجُورُ وَلَا هَوًى
يَطغَـى ولـكِـنْ وَمْـضَـةَ الـلَّمَّاحِ

صُنْـتَ الـعَـدَالَـةَ أَنْ تُمَسَّ حُدُودُهـا
وَدَفَـعْـتَ عَنْهَـا نَزْوَةَ الُمـجْـتَـاحِ

«الانْـتِـدَابُ» وَكَـمْ عَدَا بشُرُورِهِ
يَفْـرِي وَيَقْـطَعُ فِي رُبـى وَبِـطَاحِ

سَرَقُـوا الـبِـلَادَ وَقَـطَّعُـوا أَوْصَـالَهَـا
ظُلْمًا بِغَـيْرِ جَرِيرَةٍ وَجُـنَـاحِ

كَفَّـاهُ تَقْـطُرُ مِنْ دِمَـاءِ جَرَائِـمٍ
وَيَدَاهُ تَنْـفُضُ رَعْـشَـةَ الـسَّـفَـاحِ

لَمْ يَقْـوَ أَنْ يُمْـلَى عَلَيْكَ بِبَـطْشِـهِ
زَيْغُ الـقَـضَـاءِ عَلَى نَهَارٍ ضَاحِـي

وَأَبَـيْتَ أَغْـلاَلَ الـعَـبِـيْدِ وَقُـلْتَ :لا
يُرْجَـى الـصَّـلاَحُ عَلَى هَوَانِ صَلاَحِ

لاَ تَسْـتَـقِـيمُ عَلَى المَـذَلَّـةِ عِزَّةٌ
أَوْ يُرْتَجَـى نَصْرٌ بِمَـكْـرِ إِبَـاحِـي

مَنْ لِلَقَـضَـاءِ وَقَـدْ تَرَكْـتَ بِسَـاحِـهِ
شَاةً تُنَـاشُ على مُدًى وَرِمَـاحِ

* * *

عَمَّاهُ. . .! مَا يَوْمُ الـنُّـزُوحِ ، وَإِنْ نَأَى
يُطْوَى وَلاَ مَرُّ الـزَّمَـانَ بِمَاحِـي

تَمْضِي الـسِّـنُـونَ وفِي الـقُـلُوبِ تَفَـجُّـعٌ
مِنْـهُ وَفِي الأَضْـلاعِ غُصَّـةُ لاَحِـي

مَهْـمَا حَلاَ «بَـرَدَى» وَطَـابَ نَسِـيمُـهُ
مَا كَانَ يُطْفِـىءُ حُرْقَـةَ الـنُّـزَّاحِ

لاَ يَرْتَـوِي الـظَّمَأُ الـمُـدمَّـى والأَسَـى
لَفْـحُ الهَـجِـيرِ وَجَمْـرَةُ الأَتْـرَاحِ

وَنَــزَلْــتَ مَا بَيْنَ الــظِّلَالِ نَدِيَّةً
جَدَثًــا طَوَيْتَ بِهِ عَنَــاءَ كِفَــاحِ

نَطْوِيكَ فِي كَفَــنِ الحَــنَــانِ وَدَعْــوَةٍ
للهِ . . . ! تُنْــدِي سَاحَــةَ «الــدَّحْــدَاحِ»

يَا ربِّ فاجْــعَــلْهُ عَلَى أَنْــدَائِــهِ
زَهَــراً يَرِفُّ بِرَوْضِــهِ الــفَــيَّاحِ

١٣٩٨/٥/١٢

★ ★ ★

أيهـا القـلبُ ...!

أَهُجــوْدٌ. . . . وَتــوَانِـيْ . . . . !
أَمْ صِــرَاعُ الـحَــدَثَـانِ

أَشْـغَـلَـتْ عَزْمَـكَ عَنْ نَـيْـ
ـلِ الـعُــلاَ بِنْـتُ الــزَّمَـانِ

أَيْنَ مَـا أَمَّـلْتَ مِنْ حُلْـ
مٍ وَمَــغْــسُولِ الأَمَــانِي

أَيْنَ صَرْحٌ شِدْتَـهُ فِي الـ
وَهْــمِ خَفَّــاقَ الجَـنَــان

★ ★ ★

أَيْنَ دُنْــيَـا صُغْـتَــهَـا مِنْ
دَمِـكَ الــثَّـائِـرِ أَيْنَـا. . . !

وَشَـبَــابٌ هَيَّجَـتْـهُ
صَرْخَــةٌ فِـي أُذُنَــيْنَـا

هَدَأَتْ ثَوْرَتُــكَ الــيَوْ
مَ وَمَــا أَوْفَــيْتَ دَيْنَــا

وَدَوِيُّ الأَمْسِ أَضْــحَـى
هَمْسَــةً فِي شَفَــتَــيْنَــا

★ ★ ★

أَنَــا لَمْ أَهْــدَأ وَهــلْ يَهْـ
ـدأُ فِي الأَحْـدَاثِ قَلْبُ

غَضْــبَــةٌ لِلهِ تُذْكِـيْـ
ـهَــا مِنَ الآلاَمِ حَرْبُ

قَلْبِــيَ الــوَثَّــابُ قَحَّــا
مُ عَلَى الأَهْــوَالِ صَعْــبُ

زَهْــوَةُ الإِيْمَان تَحْدُ
ونِي وأنْــسَــامٌ تَهُبُّ

★ ★ ★

ذِكْــرَيَاتٌ تَبْــعَــثُ المــا
ضِـيَ فِي الخَــاطِــرِ هَمْسَــا

وَحَنِينٌ مَلأَ النَّفْـ
سَ وَرَدَّ الغَدَ أَمْسَا

وَجَنَاحٌ قَصَّهُ الدَّهْـ
رُ فَأَزرى بِكَ حَبْسَا

وَرُبُوعٌ ذَهَبَ الدَّهْـ
ـرُ بِهَا هَمًّا وَدَرْسَا

★ ★ ★

أَيُّهَا القَلْبُ. . ! هِيَ الجَوْ
لَةُ أَفْرَاحٌ وَعِيْدُ

كُلَّمَا سَارَ على الدَّرْ
بِ وَأَدْمَاهُ شَهِيْدُ

والتَقَى المُؤْمِنُ بِالمُؤْ
مِنِ : رُوَّادٌ وَصِيدُ

مَوْكِبٌ تَخْفُقُ مِن ذِكْـ
رَاهُ آفَاقٌ وَبِيدُ

★ ★ ★

مَوْكِبٌ تَجْثُو على أَقْـ
ـدَامِهِ الدُّنْيَا جِثِيًّا

وَيَضُمُّ البِكْرَ مِنْ أَمْـ
ـجَادِهَا خَضْلاً نَدِيًّا

يَصِلُ الأَجْيَالَ وَالأَزْ
مَانَ والسَّاحَاتِ رِيًّا

يُوْمِضُ العَزْمَ على الأَنْـ
صَالِ يُمْضِيهَا مُضِيًّا

★ ★ ★

أَلْقِ بالْقَيْدِ فَقَدْ لاَ
نَ عَلَى الزَّنْدِ وَهَانَا

وَآمْضِ فِي دَرْبِكَ هَذَا الدْ
دَرْبُ مَدَّتْهُ يَدَانَا

هُوَ دَرْبُ الحَقِّ . . ! لاَ تَخْ
شَ غَبِيًّا وَجَبَانَا

وعُتَاةً مَلأُوا أَمْـ
سَكَ خَسْفًا وَهَوَانَا

★ ★ ★

١٩٥٤

قصور وأكواخ



قصور وأكواخ

رَبِّ..! في مَوْكِبِ الحَيَاةِ البَدِيعِ
بَيْنَ آيَاتِهِ وَبَيْنَ خُشُوعِي
خَفَقَاتُ الدُّعَاءِ بَيْنَ ضُلُوعِي
هَمَسَاتُ الرَّجَاءِ.. ذَوْبُ دُمُوعِي

★ ★ ★

وَصَلاَةٌ تَرِفُّ بَيْنَ اللَّيَالي
وَسُكُونٌ يَذُوبُ ذَوْبَ الخَيَالِ
وَطُيُوفٌ تَمُوجُ مَوْجَ الجَمَالِ
وَنَسِيمٌ وَخَفْقَةٌ مِنْ بَلاَلِ

★ ★ ★

لَمَّهَا الفَجْرُ كُلَّهَا في يَدَيْهِ
وَطَوَاهَا رُؤًى عَلَى جَفْنَيْهِ
وَصَدَى بَسْمَةٍ عَلَى شَفَتَيْهِ
وَشَذَا نَفْحَةٍ وَطِيبٍ عَلَيْهِ

★ ★ ★

أَيُّ نُوْرٍ يَشُـقُّ ظُلْمَـةَ نَفْسِي
أَيُّ فَيْضٍ عَلَى مُنَـايَ وَحِسِّي
رَحْمَـةٌ مِنْ نَدَاكَ تَكْشِـفُ بُؤْسِي
وَنَـدًى مِنْ رِضَـاكَ يُطْلِقُ أُنسِي

★ ★ ★

فِي دُرُوبِ الحَـيَاةِ أَمْضِيْ وأُرْسِي
حَيْثُـمَا كُنْـتُ ... عِبْرَةٌ وتَـأسِّي
مَوْكِـبٌ سَارَ فِي مَطَافٍ وَقُـدْسِ
حَمَلَ الـوَرْدَ مِنْ أَزَاهِـيرِ عُرْسِ

★ ★ ★

لَفْـتَـةٌ لِلْوَرَاءِ ...! أَيْنَ الأَمَـانِي
أَيْنَ أَحْـلامُـنَـا ... وَوَمَضُ الـثَّوَانِي
نَتَـلَقَّـاهُ خَفْـقَـةً مِنْ جَنَـانِ
وَبَقَـايَا مِنْ رَعْـشَـةٍ وَحَـنَـانِ

★ ★ ★

لَهْفَـةٌ ...! هَلْ تُعِـيْدُ شَوْقًـا نَدِيًّـا !
هَلْ رَأَتْ رَوْضَـةً وَغُـصْـنًـا طَـرِيًّـا !
هَلْ رَأَتْ بُلْبُـلاً هُنَـاكَ خَلِيًّـا !
غَـابَ فِي أَيْكَـةٍ وَعَـادَ إِلَـيَّـا !

★ ★ ★

أَيْنَ أَنْـدَاءُ فَرْحَــةٍ وَلِـقَــاءِ !
أَيْنَ حَسْرَاتُ فُرْقَةٍ وَجَــفَـــاءِ !
أَيْنَ رَنَّـاتُ ضِحْـكَـةِ الْخُـلَصَــاءِ !
أَيْنَ أَنَّـــاتُ حَسْــرَةٍ وَبَـــلاءِ !

★ ★ ★

أَيْنَ يَاغُـصْـنُ لَفْتَةُ الـنَّـسَـمَـاتِ !
وَعِـنَــاقٌ وَرِقَّـــةُ الـلَّـمَـسَـــاتِ !
وَاخْضِرَارٌ يَـــرِفُّ مِنْ هَمَسَـــاتِ !
فَضَّ عَنْهَـا إِشْرَاقَـــةَ الـبَـسَـمَـاتِ !

★ ★ ★

هَلْ ذَوَى ذَاكَ وَانْـطَـوى كالسَّـــراب !
جَفَّ كَالْيَأْسِ ... كَالأَسَى.. كَاليَبَابِ !
كَبَقَايَا الأَشْبَاحِ ..وَمْض الشِّهَـــابِ !
وَتَــلاشَـى كَهَـمْـسَـةٍ فِي عُبَـــابِ !

★ ★ ★

أَيْنَ يَا قَصْرُ بَهْجَـةُ الـغُـرُفَـاتِ
وَشَــذَا زُخْـرُفٍ وَطِـيبُ لِذَاتِ
زُخْـرُفٍ مَلَّ مِنْ يَدِ الـنَّـحَّـاتِ
وَغَـفَـا فِي مَجَاهِـلِ الـذِّكْـرَيَاتِ

★ ★ ★

لَمْ يَنَـلْ لَفْتَـةً ... نَسُـوهُ مَلِيًّا
وَالـغَـوَانِي شَغَـلْنَ عَنْـهُ الـنَّـدِيَّا
والـنَّـعِـيمُ المـنْـثُـورُ نَثْـراً غَنِـيًّا
والـثِّـمارُ انْـتَـشَـتْ فَفَـاضَـتْ جَنِـيًّا

★ ★ ★

وَصُـنُـوفٌ مِنَ الـطَّعَـامِ شَهِـيَّةْ
وَأَوَانٍ تَدُورُ فِيْهِ سَخِـيَّةْ
وَكُـؤُوسٌ تَدُورُ مِثْـلَ الـرَّعِـيَّةْ
وَرُؤُوسٌ مُخَـدَّرَاتٌ غَبِـيَّةْ

★ ★ ★

وَعَـبِـيدٌ هُنَـاكَ ... نَهْبُ الأَوَامِـرْ
كُلَّما أَوْمَـأَتْ جُفُـونٌ بِخَـاطِـرْ
هَبَّ في رَعْـدَةٍ وَذُلٍّ صَاغِـرْ
ثِقَـلُ الـقَـيْدِ وَالهَـوَانُ الـعَـاثِـرْ

★ ★ ★

وَبَقَـايَا مِنْ تُخْمَـةٍ وَغُـرُورِ
أُلْـقِـيَتْ في قُمَامَـةٍ وَقُـشُـورِ
وَرَمَـوْا بَيْنَهَـا بَقَـايَا ضَمِـيرِ
خَلَقًـا ... مِنْ نَوَازِعٍ وَشُرُورِ

★ ★ ★

بَيْنَ قَاعَاتِه تَمُوجُ الخَطَايَا
قَهْقَهَاتٍ مَحْمُومَةٌ في الزَّوَايَا
تَتَلَوَّى عَلَى صُدُور المَرَايَا
فَضَحَتْهَا ... ! وخَلَّفَتْهَا عرَايَا

★ ★ ★

وَسُكَارَى عَلَى عُبَابِ الخُمُور
ونُهُودٍ وَثَّابَةٍ ... وَنُحُوْرِ
نَزَعَتْ عَنْ غِلاَلَةٍ وسُتُور
رَهَفًا صَارِخَ الهَوَى والفُجُورِ

★ ★ ★

شَهْوةٌ لَمْ تَزَلْ تَفُحُّ فَحِيحا
وَفِرَاشٌ يَلُمُّ هَمْسًا ذَبِيحا
فَضَّ عَنْ أَيْكَةٍ نِدَاءً جَرِيحا
وَطَوَى رَعْشَةً أَبَتْ أَنْ تَبُوحَا

★ ★ ★

وَبَقَايَا مِنَ الشُّمُوعِ النَّدِيَّه
وَالمُرُوءَاتُ بَيْنَهَا مَطْوِيَّه
وَبَقَايَا رُجُولَةٍ مَنْسِيَّه
حَرَقَتْهَا ... وَلَمْ تَعُدْ مِنْ بَقِيَّه

★ ★ ★

وَالمَـرَايَا تَمُوجُ مَوْجَ الـضَّـمَائِـرْ
كَمْ شُعَـاعٍ مَضَـى إِلَـيْهَـا عَاثِـرْ
عَادَ مِنْ يَأْسِـهِ شَتِـيْتَ الخَـوَاطِـرْ
خَجِـلاً ... أَنْ يكُـونَ ظِلًّا لِفَـاجِـرْ

★ ★ ★

بَيْنَ ظِلَّيْنِ : مُـجْـرِمٍ وَشَقِـيَّة
أَغْـفَـيَا فِي أَسِرَّةٍ ذَهَـبِـيَّة
فِي فِراشٍ ... نَضَّـاحَـةٍ وَغَـنِـيَّة
وَطُـيُوفٍ وَرْدِيَّـةٍ وَنَـدِيَّة

★ ★ ★

دَنَسٌ لَمْ يَدَعْ هُنَـاكَ طَهُـوْرَا
مَلأَ الأَرْضَ فِتْـنَـةً وفُـجُـوْرَا
قَتَـلَ المِـسْـكَ نَتْـنُـهَـا والـعُـطُوْرَا
وَعَـصَـى الْمـجْـرِمُـوْنَ ربًّـا قَدِيْرَا

★ ★ ★

أَمْـسَـكَ الكَـأْسَ وَآرْتَـوَى مِنْ شَرَابِـهْ
هَارِبًـا مِنْ ضَيَاعِـهِ وَعَـذَابِـهْ
قَالَ : «إِنِّي رَبٌّ» ... ، لِكُـلِّ صِحَـابَـهْ
وَعَـبِـيْدٌ هَوَتْ عَلَى أَعْـتَـابِـهْ

★ ★ ★

غَرَّهُ عُمْـرُهُ ... وَوَمْض بُرُوق
وَنَـعِـيمٌ ... على بِسَـاطٍ رَقِـيْق
وهـوًى ... مَرَّ في شِعَـاب الـطَّرِيق
فَجَـرَى خَلْفَـهُ جُنُـونَ المَـشُـوقِ

★ ★ ★

كَمْ جَرَى لَاهِـثًـا يَحُثُّ خُطَاهُ
يَدْفَـعُ الـوَهْـمُ عُمْـرَهُ ورُؤَاهُ
وأَمَـانِـيْهِ صَاغَـهَـا مِنْ هَوَاهُ
ضَاعَ في زَحْمَـةٍ ... وَضَـاقَـتْ مُنَـاهُ

★ ★ ★

ضَيِّقَ الـقَصْرَ ظُلْمُـهُ والجَـاهُ
وَصِـحَـابٌ ضَجُّـوا هُنَـاكَ وَتَـاهُـوْا
لَمْ تَعُـدْ فُسْحَـةٌ لِفَـيْضِ هَوَاهُ
ضَيِّقَ الـعَـيْشَ مَا جَنَـتْـهُ يَدَاهُ

★ ★ ★

وَعَـلى الـبَـاب أُمَّـةٌ مِنْ عَبِـيْدِ
وَأَمَـانٍ مُخَدَّرَاتُ الـوُجُـودِ
وَالأَعَـادِيْ هُنَـاكَ ... عِنْـدَ الحُـدُودِ
وَهُـنَـا ... سَيِّدٌ ... بقَصْرٍ مَشِـيْدِ

★ ★ ★

وَقَضَايَا أَمَامَهُ مَنْشُورَه
لَمْ تكُنْ عِنْدَهُ سِوَى أُسْطُورَه
وَقَطِيعٌ مِنَ الجُمُوعِ الغَفِيرَه
تَتَهَاوَىْ نُفُوسُهَا المَنْخُورَه

★ ★ ★

وَأَطَلَّ «الزَّعِيمُ» مِنْ شُرُفَاتِهْ
ثَمِلاً مِنْ هَوَاه ... مِنْ لَذَّاتِهْ
لاَ يَلُمُّ الشَّتَاتَ مِنْ نَظَرَاتِهْ
أَفْلَتَ الوَهْمُ مِنْهُ ... مِنْ كَلِمَاتِهْ

الزعيم:

قَالَ ... : مَهْلاً فَسَوْفَ نَحْمِي البِلاَدَا
نَبْذُلُ النَّفْسَ والغِنى والتِّلاَدَا
وَرِيَاشًا ... نبني بذَا أَمْجَادا
وَنُعِيْدُ الفِدَا ... وَنُحْيِي الجِهَادَا

★ ★ ★

آصْبِرُوا بَيْنَ شِدَّةٍ وَمَجَاعَة
فَدُرُوبُ الكِفَاحِ دُنْيَا قَنَاعَة
لَمْ تزَلْ أَضْلُعِي لَظًى وَضَرَاعَة
ظَمَأٌ بَيْنَهَا يَمُدُّ صِرَاعَه

★ ★ ★

كُلُّ لَيْلي أُذيبُ فيْهِ نَهَاري
بين هَذِي وَتِـلْك أُفْـرِغ نَارِي
حَائِـراً بَيْنَ زَحْمَـةٍ أَوْ إِسَـار
عَمَـلُ دَائِـبُ بِغَـيْرِ قَرَارِ

★ ★ ★

وَثَـغَـتْ كُلُّ نَعْـجَـةٍ أَوْ شَاةِ
خَدَرٌ في عُرُوقِـهِـمْ والـلَّـهَـاةِ
وَنَـقِـيقٌ عَلَى ضِفَـافِ الحَـيَاة
وَضِـيَاعٌ فِيْ قَفْـرَةٍ وَفَـلاَةِ

★ ★ ★

وَدُمًـى حُرِّكَـتْ وَفَـيْضُ مَطَامِـحْ
وَغَـبَـاءُ عَلَى المـلاَمِـح فَاضِـحْ
وَنِـفَـاقٌ يَفُضُّ تِلْكَ المـلاَمِـحْ
يَفْـضَـحُ النَّـتْنَ مِنْ خَبِيْثِ الـرَّوَائِـحْ

★ ★ ★

قَامَ مِنْ بَيْنِهِـمْ وَأَوْمَضَ عَزْمًـا
مُؤْمِـنٌ هَبَّ لِلَّذي هُوَ أَسْـمَـى
حُبُّـهُ اللهُ شَقَّ دَرْبًـا وَأَدْمَـى
وَرَأَى جَنَّـةً وَأَبْصَرَ نُعْـمَـى

★ ★ ★

وَتَخَطَّى مِنَ الـقَـطِيعِ رِقَـابَـهْ
وَتَخَطَّى ثُغَـاءَه وَرِغَـابَـهْ
وَمَـضَـى يَدْفَـعُ الخُطَى وَثَّـابَـهْ
يَقْـرَعُ المَـجْـدَ أَوْ يُفَـتِّـحُ بَابَـهْ

★ ★ ★

المـؤمـن:

سَيِّدَ القَصْرِ... ! هَلْ رأَيْتَ البُـطُونَـا
ضَامِـراتٍ ... وَهَـلْ رَأَيْتَ الجُفُـونَـا !
جُدْ عَلَيْهَـا بِقَـطْرَةٍ كَيْ تُعِـيْنَـا !
صَبْرَهَـا... أَوْ جِهَـادَهَـا المَـيْمُـونَـا !

★ ★ ★

سَيِّدَ الـقَصْرِ...! هَلْ لَدَيْنَـا سِلاحُ
لِنَصُـدَّ الْعِـدَى ... وَتُشْفَى الجِرَاحُ
كَمْ رَوَابٍ ... وَمَـنْـزِلٍ يُسْـتَبَـاحُ
وَرِجَـالٍ صِيْدٍ طَوَتْهُـمْ بِطَاحُ

★ ★ ★

كَمْ رَضِـيْعٍ بَكَـتْ عَلَيْهِ رُبَـاهُ
قَتَـلَ الجُـوْعُ أُمَّـهُ وَأَبَـاهُ
مَا انْـحَـنَـتْ لِلصِّـعَـابِ مِنْهُـمْ جِبَـاهُ
وَمَضَـوْا ... والصَّـدَى مَضَى : «رَبَّـاهُ»

★ ★ ★

سَيِّدَ الـقَصْرِ. . ! خَيَّمَ الجَـهْـلُ فِيْنَـا
هَلَ لَنَـا مِنْ مَعَـاهِـدٍ تُؤْوِيْنَـا
نَعْـرِفُ اللهَ عِنْـدَهَـا والـيَقِـيْنَـا
نَعْـرِفُ الحَقَّ . . . والهُـدَى . . . وَالـدِّينَا

★ ★ ★

أَيْنَ ثَرْواتُـنَـا . . . وَأَيْنَ المَـصَـانِـعْ
أَيْنَ رُوحُ الإِيْمَانِ يَبْـنِي . . . يُقَـارِعْ
أَيْنَ مَنْ لاَ يَرَى الـبِـلاَدَ مَنَـافِـعْ
كَمْ فَتًـى مَيِّتٍ . . . وَكَـمْ مِنْ ضَائِـعْ

★ ★ ★

كَمْ عَدُوٍّ نَرَاهُ يَحْكُـمُ فِيْنَـا
مَلَكَ الأَمْـرَ كُلَّهُ وَالـبَـنِـيْنَـا
إِنْ رَآهُ «الـزَّعِـيْمُ» أَحْـنَـى الجَـبِـيْنَـا
وَالـسَّـوَادُ الـلاهـي يَقُـلْ: «آمـيـنـا»

★ ★ ★

رَجَـفَـتْ مِنْـهُ كَفُّـهُ والجُـفُـونُ
رَجَـفَـتْ مِنْـهُ سَاقُـهُ والـعُـيُونُ
قَتَـلَ الخَـوْفُ نَفْـسَـهُ والـظُّنُـونُ

الزعيم مَضى سائلا:

وَمَضَى سَائِلاً: تُرى مَنْ يَكُوْنُ.. ؟
مَنْ وَرَاءَ الفَتَى... وَأَيْنَ العُيونُ؟
أَيُّ شَيْءٍ يَقُوْلُهُ المأفُونُ؟
اقْتُلُوْهُ ... فَإِنَّهُ مَجْنُونُ
إِذبَحُوهُ ... وَهَذِهِ السِّكِيْنُ

★ ★ ★

وَهُنَا أَقْبَلَتْ عَلَيْه الشِّيَاهُ
والدُّمَى أَيَّدَتْ لَهُمْ فَتْوَاهُ
لَعَنُوهُ ... وَمَزَّقُوا دَعْوَاهُ
وَالصَّدَى مِنْ أَنِينِهِ : «رَبَّاهُ»

★ ★ ★

★ ★ ★

أَيُّ «كُوْخٍ» بِجَانِبِ القَصْرِ قَامَا
هَادِئاً ... أَسْكَنَ الهَوَى والغَرَامَا
بينَ زوجَيْنِ لَمْ يَذُوقَا حَرَامَا
مُطْمَئِنَّيْنِ... أَيْقَنَا... فَاسْتَقَامَا

★ ★ ★

لَمْ يكُـنْ فِيْه غَيْرُ خِـدْرٍ صَغِـيْر
وَسَّـعَـتْـهُ رَحَـابَـةٌ مِنْ ضَـمِـيْر
لِطَعَـام وَمَجْلِسٍ وَسَرِير
مَنَـحـتْـهُ نَدَاوَةً مِنْ عُطُورِ

★ ★ ★

أَيُّ ضَوْءٍ حَنَـا ضُحًـى وَعَـشِـيّا
وَشُـعَـاع رآهُ مَغْـنًـى نَدِيًّا
وَدُجًـى كَمْ كَسَـاهُ مِنْـهُ حُلِيًّا
فَوّحَ الـعِـطْرُ مِنْ نَدَاهُ زَكِـيًّا

★ ★ ★

أَشْرَقَ الـكُـوخُ بَسْـمَـةً مِنْ ضِيَاءِ
مِنْ صَبِـيٍّ وَمِـنْ رَفِـيْفِ الهَـنَـاءِ
وَفَـتَـاةٍ تَلُفُّ ثَوْبَ الحَـيَاءِ
وَرِدَاءَ الـتُّـقَـى وَزَهْـوَ الإِبَـاءِ

★ ★ ★

كَمْ قَضَـى يَوْمَـهُ يَكِـدُّ وَيَسْـعَـى
وَالِـدٌ يَجْمَـعُ الـقُـلُوبَ وَيَرْعَـى
يَجْمَـعُ الـقُـوْتَ، يَذْرَعُ الأَرْض ذَرْعَـا
يَغْـرِسُ الـعَـزْمَ، يُنْبِتُ الأَرْضَ زَرْعَـا

★ ★ ★

كَمْ سَقَـاهَـا جَبِـيْنُـهُ وَروَاهَـا
وَجَـنَـا مِنْ غِرَاسِـهِ وَرَعَـاهَـا
بَارَكَ اللهُ مَا حَبَـتْـهُ رُبَـاهَـا
فَزَكَـا غَرْسُـهُ وَطَـابَ جَنَـاهَـا

★ ★ ★

بَلَّلَ الأُفْـقَ مِنْ رَوَاءِ جَبِـيْنِـهْ
سَكَـبَـتْـهُ عُرُوقُـهُ بِيَمِـيْنِـهْ
نَثَـرَ الـقَـطْرَ فِي دُرُوبِ حَنِـيْنِـهْ
فَإِذَا بِالَهَـجِـيْرِ بَرْدُ يَقِـيْنِـهْ

★ ★ ★

كُلَّمَا أَوْقَـدَ الَهَـجِـيْرُ لَظَاهُ
حَفَّـهُ بِالـظِّلاَلِ طُهْـرُ خُطَاهُ
وَسَـقَـاهُ الـنَّـدى ... وَرَطّـبَ فاهُ
ذِكْـرُهُ اللّـهَ ... لَـمَّ فَيْضَ هُدَاهُ

★ ★ ★

أُمْـنِـيَاتٌ تَفِـيْضُ مِنْ إِيْمَانِـهْ
لَيْسَ مِنْ وَهْمِـهِ وَغِـرَّةِ شَانِـهْ
هِيَ مِنْ صِدْقِـهِ وَمِـنْ إِحْـسَـانِـهْ
زَهَـرَتْ بَيْنَ أَمْـنِـهِ وَأَمَـانِـهْ

★ ★ ★

كُلَّما عادَ مورقَ الأُمْسيَاتِ
لَقِيتُهُ نَضارَةُ البُشْرَيَاتِ
بَسْمَةٌ أَشْرَقَتْ عَلَى القَسَماتِ
نَفَحَتْهَا طَهَارَةُ اللَّفَتَاتِ

★ ★ ★

مَدَّ في كُوخِهِ عَلَى أَبْنَائِهْ
كِسْرَةَ الخُبْزِ أَوْ يَسِيرَ غِذَائِهْ
طَعِمُوا ... وَارْتَوَوْا ... هَنِيءَ بَلاَئِهْ
وَجَرَى الحَمْدُ لَيِّنًا بِدُعَائِهْ

★ ★ ★

وانْطَوَوْا مُبْكِرينَ بَعْدَ الصَّلاَةِ
في رُقَادٍ وَهَدْأَةٍ وَسُبَاتِ
رَفْرَفَتْ بَيْنَهُمْ شُفُوفُ التُّقَاةِ
نَاعِمِيْ البَالِ ... طَيِّبِيْ الأُمْنِياتِ

★ ★ ★

هَبَّ مِنْ لَيْلِهِ ...! جفَتْهُ المَضَاجِعْ
وَدَعَاهُ نِداءُ قَلْب خاشِعْ
وَطُيُوفٌ ... عَلَى الجُفُوْنِ الدَّوامِعْ
رَعَشَاتٌ مِنَ الأَكُفِّ الضَّوارِعْ

★ ★ ★

قَدْ صَفَا الـقَـلْبُ، مَا رَأَى فِيْهِ حِقْـدَا
وَخَــلاَ مِنْ هَوًى وَأَقْـبَـلَ زُهْـدَا
ترك الـنَّـاسَ . . . ! كَيْ يرَى مَا أَعَـدَّا
لِيَرَى نَفْـسَـهُ . . . ! رَأَى الأَمْـرَ جِدًّا

★ ★ ★

غَنِـيَتْ أَنْـفُسٌ وَلاَنَــتْ قُلُوبُ
وَدُعَــاءٌ مَعَ الـضُّـلُوعِ يَذُوبُ
وَأَكُفٌ تَمُوجُ . . . ! ، دَمْـعٌ . . . ! وَجِيْبُ !
وَطُـيُوفٌ تَلُمُّـهُـنَّ الـغُـيُوبُ

الزوج يدعو في جوف الليل :

رَبَّـنَـا . . . ! سَبَّـحَـتْ لَكَ الـفَـلَوَاتُ
وَأَقَـاصِي الأَعْـمَاقِ والـظُّلُمَاتُ
وَالحَصَى . . . ! والـرِّمَالُ . . . ! والـرَّبَـوَاتُ
وَرَفِـيْفُ الـغُـصُـونِ . . . ! والـزَّهَـرَاتُ

★ ★ ★

وَنِــدَاءُ الـطُّيُورِ . . . ! والـوُكُـنَـاتُ
وَهَـدِيْلُ الحَـمَامِ . . . ! والهَـمَـسَـاتُ
وَرَفِـيفُ الـضَّـمِـيْرِ . . . ! والـنَّـظَرَاتُ
مَوْكِـبٌ رَفْـرَفَـتْ بِهِ الآيَاتُ

★ ★ ★

رَبَّـنَـا . . . ! مِنْ يَدَيْكَ فَاضَ الـنَّـعِيْمُ
والهُـدَى مِنْـكَ ، والحَـنَـانُ الـرَّحِـيْمُ
وَزَكَـاةُ الـنُّـفُـوسِ مِنْـكَ تَقُـومُ
وَاهِـبٌ . . . قَادِرٌ . . . عَزِيْزٌ كَرِيْمُ

★ ★ ★

قَصَّرَتْ. رَبَّـنَـا - الـعَـزِيْمَـةُ مِنَّـا
وَالـتَـوَتْ أَنْـفُسٌ عَلَى الـدَّرْبِ وَهْـنَـا
وَرَمَـاهَـا الهَـوَى وَأَفْـقَـدَ أَمْـنَـا
غَرِقَـتْ فِي ظَلَامِـهَـا تَتَـمَـنَّـى

★ ★ ★

وَمَـضَـى الـلَّيْلُ في صَدَى دَعَـوَاتِـهْ
وَالـنُّـجُـومُ الـزَّهْـرَاءُ رَعْـشَـةُ ذَاتِـهْ
وَنَـسِـيْمٌ غَفَـا عَلَى عَبَرَاتِـهْ
وَصَحَـا . . .!! يَنْثُـرُ النَّـدَى عَلَى رَبَـوَاتِـهِ

★ ★ ★

يَلْمِسُ الأُفْـقَ في هَوًى وَحَـنِـيْنْ
يُوْقِظُ الـنُّـوْرَ مِنْ مَرَاقِـدِ لِيْنْ
يُوْقِظُ الـزَّهْـرَ مِنْ دَلَالِ جُفُـونْ
يُوْقِظُ الـعِـطْرَ في مَرَابِـعَ غِيْنْ

★ ★ ★

مَوْكِبُ الفَجْرِ فَضَّ مِنْ أَلْحَانِهْ
رَجَّعَتْهَا الرُّبَى شَذَا أَلْوَانِهْ
حَائِرَاتٍ ...! تَعَثَّرَتْ بِجِنَانِه
فَإِذَا هُنَّ عَبْقَرِيُّ بَيَانِهْ

★ ★ ★

وَمَضَى ... وَاليَقِينُ يَنْشُرُ آيا
وَيَلُمُّ النَّدَى ... وَفَيْضَ العَطَايَا
هَا هُنَا ... أَوْ هُنَا يَشُدُّ المَطَايَا
دَاعِياً ... لَا يَهَابُ خَطْفَ المَنَايَا

★ ★ ★

لَيْسَ للخُبْزِ وَحْدَهُ كَانَ يَسْعَى
دَعْوَةٌ تَدْفَعُ العَزِيمَةَ دَفْعًا
دَعْوَةُ اللهِ ... تَقْرَعُ النَّاسَ قَرْعًا
وَهُدًى يَمْلأُ النُّفُوسَ وَيَرْعَى

★ ★ ★

كَمْ تَمَلَّى نَدَاوَةَ القُرْآنِ
وَرَعَىْ سُنَّةً وَصِدْقَ بَيَانِ
وَرَأَى أُمَّةً ... وَذُلَّ هَوَانِ
فَمَضَى فِي مَوَاكِبِ الإِيْمَانِ

★ ★ ★

ذَاتَ يَوْمٍ تَلَبَّثُوا ... لإِيَابِهْ
وَشَكَتْ زَوْجُهُ طَوِيْلَ غِيَابِهْ
وَبُنُوْهُ ... وَعُصْبَةٌ مِنْ صِحَابِهْ
وَحَنِينُ الظِّلَالِ ... فِي مِحْرَابِهْ

★ ★ ★

وَهَوَى لَيْلِهِ ... وَخَفْقُ دُعَائِهْ
وَطُيُوفٌ تَمُوجُ فِي أَرْجَائِهْ
حَائِرَاتٍ يَسْأَلْنَ عَنْ أَنْبَائِهْ
عَصَرَ الشَّوْقُ دَمْعَةً لِلِقَائِهْ

★ ★ ★

وَإِذَا أُمَّةٌ ... وَظِلُّ مَصَائِبْ
حَمَلَ الجُثَّةَ النَّدِيَّةَ صَاحِبْ
بَيْنَ عَبْرَاتِهِ ... نَجِيُّ مَوَاكِبْ
بَيْنَ أَنَّاتِهِ - دَوِيُّ كَتَائِبْ

★ ★ ★

ولداه والزوجة :

أَبَتَاهُ ...! وَغَيَّبَتْهَا المَدَامِعْ
إِيْهِ زَوْجَاهُ ...! لَوْعَةٌ وَفَوَاجِعْ
وَأَحَاطُوْهُ بالقُلُوب الخَوَاشِعْ
وَأَسَىً رَاجِفٍ وَخَفْقٍ ضَارِعْ

★ ★ ★

وَبقَــايَا إِشْرَاقَــةٍ وَابْـتِـسَــام
تَتَــهَــاوَى عَلَى أَنِينٍ دَامِــي
وَعَــلى غُصَّــةٍ وَدَمْــع هَامِــي
وَتَهَــاوَتْ بَقِــيَّةُ الأَحْــلَام

★ ★ ★

الزوجــه:

قَتَــلُوهُ ...! فَمَنْ هُمُ...؟ قَتَــلُوهُ!
الأعَــادي هُنَـاكَ ... هَلْ صَرعُـوهُ؟
الـيَهُــودُ الـغُزَاةُ ... هَلْ طَعَــنُوهُ؟
أَيُّ مَسْــتَـعْــمِـرٍ ...؟ وَأَيْــنَ ذَوُوهُ؟

★ ★ ★

الفــتى:

وَأَجَــابَ الـفَــتَى ... وضَمَّ جرَاحَــهْ
أَهْــلُهُ ... مَزَّقُــوا ... هُمُ أَفْــرَاحَــهْ
طَعَــنُوْهُ ... وَفَــجَّــرُوا أَتْــرَاحَــهْ
وَأَسَــالُــوْا جِرَاحَــهُ الــنَّضَّــاحَــة

★ ★ ★

وَثُــغَــاءُ الـقَــطِيع وَهْــوَ يُسَــاقُ
وَرُؤًى حَاكَــهَــا الهَــوَى والــنِّــفَــاقُ
وَ «صَــغِــيْرٌ» وَعُــصْــبَــةٌ وَرِفَــاقُ
رَكِــبُــوهَــا جَرِيْمَــةً لَا تُطَاقُ

★ ★ ★

الزوجـــه:

أَهْـلُهُ...! جَارُهُ! وَذَاكَ الـقَـرِيْبُ!
مَزَّقُـوْهَـا عُرًى...! فَأَيْنَ الـلبيبُ..!
رَحِـمٌ مَزَّقُـوْهُ...! وَهُـوَ نَجِـيْبُ!
أَنَـسُـوا أَنَّـمَا عَلَيْهِـمْ رَقِـيبُ!

★ ★ ★

كَيْفَ تُرْعَـى لَنَـا إِذَنْ حُرُمَـاتُ
حِيْنَ يَقْضِي عَلَى الـبَـنِـيـنَ الـرُّعَـاةُ
مَنْ تَوَلَّـوا عَنِ الـعَـقِـيْدَةِ مَاتُـوْا
وَطَـوَتْهُـمْ بِغَـيِّهِـمْ ظُلُمَاتُ

★ ★ ★

عَجَـبًـا كَيْفَ قُطِّعَـتْ أَرْحَـامُ
وَغَـشَـى أَعْـيُنَ الـوَرَى إِظْـلَامُ
وَالهَـوَى سَيِّدٌ يَدَاهُ زِمَـامُ
وانْـطَوَتْ بَيْنَـنَـا قَنـاً وَحُـسَـامُ

★ ★ ★

الفــتى:

هَوِّنِيْ ... أَحْـسِـنِي بِرَبِّـكِ ظَنَّـا
مَا قَضَـى مَنْ مَضَـى وَأَوْرَثَ يُمْـنَـا
وَرَوَى الحَـقَّ مِنْ دِمَـاهُ وَأَغْـنَـى
وَمَـضَـى لِلْجِـنَـانَ يَطْلُبُ حُسْـنَـى

★ ★ ★

فَسَــتَـمْضي عَلَى الـطَّريق الـكَـتَـائِبْ
تَمْلأُ الأُفْـقَ مِنْ نَـدِيٍّ المَـوَاكِـبْ
مِنْ شَهِـيْدٍ تَخَطَّفَـتْـهُ الـقَـوَاضِـبْ
فَأَضَــاءَتْ مِنَ الــنُّـفُـوسِ الـغَـيَاهِـبْ

★ ★ ★

الزوجــة:

كَفِّـنُـوهُ مُلاَءَةً مِنْ كُبُـوْدِ
وَانْـسُـجُـوا مِنْ دَمٍ غَنِـيِّ الـبُرُودِ
وَانْـثُـروا فَوْقَـهُ زَكِـيّ الـوُرُوْدِ
وَاسْـكُـبُـوا مِنْ حَنَـانِـهِ المَـعْـهُـودِ
وَأَحِـيْطُوا جُثْـمَانَـهُ بالخُـدُودِ

بالـرَّيَاحِـيـنِ ... بـالنَّـدَى ... بالجُـوْدِ
أَنْـزِلُـوهُ عَلَى أَكُـفِّ الصِّـيْدِ
مَنْـزِلاً شِيْدَ مِنْ طَهُـوْرِ المُـهُـودِ
أَنْـزِلُـوهُ مَعَ الـدُّعَـاءِ الـرَّشِـيْدِ
وَرَجَـاءٍ يُلِحُّ بالـتَّرْدِيْدِ
وَصَـدَى لَيْلِهِ وَخَـفْـقِ سُجُـودِ
أَنْ نَرَى رَمْـسَـهُ نَدِيَّ شَهِـيْدِ
رَوْضَـةً أَزْهَـرَتْ بِنَـفْـحِ خُلُودِ
بَلِّلُوهُ بِـدَمْـعَـةِ الـمَـفْـؤُوْدِ

وَانْشُرُوا الـطِّيْبَ مِنْ زُهُـوْرٍ وَعُـوْدِ
وَظِـلَالًا مِنَ الْهَـوَى الْمَـمْـدُودِ
وَنَـسِـيمًا نَدَاهُ رَفُّ الْـعُـهُـودِ
وَغُـصُـونًـا تَحْنُو حُنُـوَّ الْـعَـمِـيْدِ
وَأَحِـيْطُوهُ بِالْـقَـنَـا وَالْـبُـنُـودِ
وَنِـدَاءٍ مُرَجَّـعٍ وَنَـشِـيْدِ

★ ★ ★

وَمَـضَـتْ خَطْوَةٌ وَظِـلُّ شَبَـابِ
وَدُمُـوْعٌ مِنَ الْـفَـتَـاةِ الْـكَـعَـابِ
وَحَـنَـانٌ يمَـوجُ بَيْنَ الـضَّـبَـابِ
بَيْنَ نَجْـوَى أُمُـومَـةٍ وَاضْـطِرَابِ

★ ★ ★

لَمْ تكَـدْ تَخْتَـفِـي الخُطَـا مِنْ إِيَـابِ
فَإِذَا صَرْخَـةُ هُنَـاكَ بِبَـابِ
وَعَـبِـيْدٌ تَرْمِـي حُطَامَ رِغَـابِ
سَيِّدٌ صَارَ نُهْبَـةً لِلذِّئَـابِ

★ ★ ★

فِي زَوَايَا حَفِـيرَةٍ وَتُـرَابِ
طَرَحُـوهُ . . . صَرِيْعَ كَأْسِ شَرَابِ
وَهَـوَى لَذَّةٍ وَمُـتْـعَـةِ صَابِي
وَرَمَـوْا فِيْهِ قِطْعَـةً مِنَ عَذَابِ

★ ★ ★

وَطَـواهُ الـثَّـرَى وَوَحْـشَـةُ رَمْسِ
لَمْ تُرَافِـقْـهُ مِنْ مَلَاعِـبِ أَمْسِ
غَيْرُ صَمْـتٍ مِنَ الـتُّرَابِ وَطَـمْسِ
وَحْـشَـةٌ لَمْ تَجِدْ بَقِـيَّةَ أُنْسِ

★ ★ ★

الخاتمة :

هَا هُنَـا ... قَدْ تَجَاوَرَ الـقَـبْرَانِ
لَيْسَ مِنْ سَيِّدٍ وآخَـرَ عَانِي
فَهُـمَا ... في عَدَالَـةِ المِـيْزَانَ
عَنْـدَ رَبِّ الَـعِـبَـادِ وَالأَكْـوَانِ
عنْـدَ آيَات قَادِرٍ رَحْمَـانِ
أَيُّ قَصْرٍ يُجْدِي وَأَيُّ حِسَـانِ
أَيُّ مَالٍ ... وَأَيُّ رِفْـعَـةِ شَانِ
وَانْـزَوَتْ عَنْـهُ رَعْـشَـةُ الـعُـبْـدَانِ
وَانْـزَوَتْ زَحْمَـةُ الـنِّـفَـاقِ الجَـبَـانِ
والأَمَـانِيْ وَشَـهْـوَةُ الـسُّـلْطَانِ
والَمـرَايَاَ مَحْمُـومَـةُ الـلَّـمَـعَـانِ
وَكُـؤُوسٌ ... وَقَـاعَـةٌ ... وَأَوَانِيْ
وَفِـرَاشٌ ... وَلَهْـفَـةٌ ... وَغَـوَانِيْ
طُوِيَتْ لَمْحَـةً وخَـطْفَ ثَوَانِيْ

وَعَـلى خِرْقَـةٍ مِنَ الأَكْـفَـانِ
طُوِيَتْ بَيْنَ حُفْـرَةٍ وَهَـوَانِ
طُوِيَتْ في غَيَابَـةِ الـنِّـسْـيَانِ
وَلَهَـا بَعْـدَ ذَاكَ نَشْرٌ ثَانِي
عَجَـبًـا ... مِنْ طَوَارِق الحَـدَثَـانِ
عَجَـبًـا كَمْ مَضَـتْ عَلَى الأَزْمَـانِ
مِنْ عِظَاتٍ مَاتَـتْ عَلَى الآذَانِ
عِبَرٌ ... كَمْ مَضَـتْ بِكُـلِّ بَيَانِ
وَتَـلاشَـتْ عَلَى هَوًى وَهَـوانِ

★ ★ ★

١٣٩٨/٦/٢٠
١٩٧٨/٥/٢٧

كانت أُمَّة واحدة. . . أُمَّةً عظيمة يجمعها دين واحد دين عظيم . . . دين الإسلام فتفرَّقت على لهو وشتات فهل من عودة؟

عَرائِسُ المجد

عُوْدي لِمَغْنَاكِ في السَّاحاتِ وارْتَقِبي
عَرائِسَ المَجْدِ. . .! خَفْقَ النَّصْلِ والقُضُبِ

هُنا حِمَاكِ الَّذي خَلَّفْتِهِ زَمَناً
يَهِيْجُهُ مِنْكِ عِطْرُ الشَّوْقِ والنَّسَبِ

خَلَّفْتِهِ . . . ولَيَالي العُرْسِ زَاهِرَةٌ
ونَشْوَةُ العِزِّ في صَفْوٍ وفي طَرَبِ

تَخَيَّرَتْ لَكِ مِنْ أَحْلامِها دُرَراً
ومِنَ أَمَاني التُّقَى مُوْشِيَّةَ القُشُبِ

وكُلُّ جَوْهَرَةٍ في تَاجِكِ ائتَلَقَتْ
فَرِيْدَةَ الدَّهْرِ أَوْ بِكْراً مِنَ الأَرَبِ

عَلَى الجُفُونِ رَجَاءٌ غَيْرُ مُنْهَزِمٍ
وَفِي مُحَيَّاكِ عَزْمٌ غَيْرُ مُضْطَرِبِ

وَبَيْنَ أَحْنَائِكَ الآمَالُ مَاجَ بها
عَلَى هُدَى الحَقِّ صِدْقُ الظَّنِّ والرَّغَبِ

★★★

عُودِي لِمَغْنَاكِ مَا زَالَتْ غَرَائِسُهُ
تَمُدُّ مِنْ ظِلِّهَا أَوْ عُودِهَا الرَّطِبِ

وَلَمْ تَزَلْ مِنْ لَيَالِي العُرْسِ شُعْلَتُهَا
تُضِيءُ مِنْ وَهْدَةٍ أَوْ ظُلْمَةِ الشُّعَبِ

وَفِي المَيَادِيْنِ فُرْسَانٌ سُرُوجُهُمُ
عَلَى الضَّوَامِرِ شَوْقُ الفِتْيَةِ النُّجُبِ

هُنَا حِمَاكِ ... فَعُودِي إِنَّ لَهْفَتَهُ
إلى اللِّقَا خَفْقَةُ الأَجْيَالِ والحِقَبِ

هُنَا المَيَادِينُ ... أَصْدَاءُ الفُتُوحِ بِهَا
مَوْجٌ بِكُلِّ نَدِيِّ السَّاحِ مُخْتَضِبِ

هُنَا الدِّمَاءُ الَّتِي سالت مُرَنَّحَةً
للهِ خَالِصَةً فِي اللهِ لَمْ تُرِبِ

كَمْ عَطَّرَتْ مِنْ شَــذَا الإِيْمَانِ رَابِــيَةً
وَمِــنْ عَبِــيْرٍ عَلَى الــسَّــاحَــاتِ مُنْــسَكِــبِ

هُنَــا الــنُّبُــوَّةُ. . .! مَغْـنَــاكَ الــذِي عَبِـقَتْ
فِيْهِ الــنُّـبُــوَّةُ أَغْـــنَــى كُلَّ مُنْسَرَبِ

وَمِــنْ طُيُوفِ الهُــدَى جِبْرِيْلُ يَخْفِــقُ فِي
وَحْــيٍ وَيَهْــتِــفُ بالآيَاتِ والــرَّهَــبِ

مَا مَسَّ حانِــيَةً إِلَّا وَقَــدْ عَبِــقَــتْ
بِطْيِبِــهِ نَائِــيَاتُ الــبِــيْدِ وَالهِــضَــبِ

يَفِــيْضُ بالــنُّــورِ يَغْــشَــى كُلَّ نَاحِــيَةٍ
يَشُــقُّ مِنْ ظُلْمَــةٍ يَرْمِــي مِنَ الحُــجُــبِ

يُزِيْحُ عَنْــكِ رُكَــامَ الجَــاهِــلِيَّةِ مِنْ
ظُلْمٍ وَمِــنْ فِتْــنَــةٍ عَمْــيَاءَ، مِنْ كَذِبِ

طِيبِــي رِمَــالاً على الــصَّــحْــرَاءِ قَدْ مَزَجَــتْ
نُوْراً مِنَ الــوَحْــيِ مَزْجًــا بالــدَّمِ السَّرِبِ

حَتَّــى تَأَلَّــقَــتْ حَبًّــا . . . .! كُلُّ لُؤْلُــؤَةٍ
نُوْرٌ وَعِــطْرٌ فَيَا لِلمَــنْــظَرِ الــعَــجَــبِ

تِيهِي رِمَالَ الصَّحَارى لا أَرى شَرَفاً
أَعَزَّ أَوْ رُتْبَةً أَعْلى مِنَ الرُّتَبِ

لا تُفْزِعَنَّكِ أَشْواكُ بِرَوْضَتِهِ
سَيَخْضُدُ الشَّوْكَ زَحْفُ الفَارِسِ الضَّرِبِ

وَلاَ الأَفَاعِي إذا فَحَّتْ بِسَاحَتِهِ
عَلَى البَوَاتِرِ قَطْعُ الرأْسِ والذَّنَبِ

★ ★ ★

هُنَا رُبَى مَكَّةٍ طَافَ الرَّسُولُ بِهَا
عَلَى هُدَى الوَحْيِ في صَحْبٍ وفي عُصَبِ

يَطُوفُ بِالْبَيْتِ والرَّحمٰنُ يَحْرُسُهُ
وَحَوْلَهُ مِنْ جُنُودِ الحَقِّ كُلُّ أَبي

تَهْوِي إِلى الأَرْضِ أَصْنَامٌ مُحَطَّمَةٌ
عَلَى المَطَارِقِ فِي ذُلٍّ وَفِي رُعُبِ

حَنَتْ عَلَى الخِزْيِ هَامَاتٍ مُلَطَّخَةً
كُلُّ الطَّواغِيتِ مِنْ وَهْنٍ وَمِنْ نَصَبِ

وَدَعْوَةٌ لَمْ تَزَلْ تَبْنِي وَتَعْمُرُ مِنْ
قَلْبٍ وَتَنْشُدُ فِي الآفَاقِ مِنْ أَرَبِ

عَلَى خُطَى هِجْـرَةٍ للهِ صَادِقَـةٍ
تَمُدُّ في الـدَّهْـرِ زَهْـوَ الـفَـوْزِ والـغَـلَبِ

لِطِيْبَـةٍ وَبنُـو الأَنْـصَـارِ قَدْ فَتَـحَـتْ
قُلُوبَهَـا لِضِـيَاءٍ مُقْـبِـلٍ وَنَـبِـي

وَجَـرَّدَتْ فِي سَبِـيلِ اللهِ مُقْـبِـلَةً
عَلَى الجِـنَـانِ سُيُوفَ الـنَّصْرِ مِنْ قُرُبِ

رَوَّتْ «بِـبَـدْرٍ» رِمَـالاً زَادَهـا أَلَـقًـا
جُنْـدٌ مِنَ اللهِ فِي خَفَّـاقَـةِ الـسُّـحُـبِ

وَلَمْ تَدَعْ «أُحُـداً» إِلَّا وَقَـدْ جَعَـلَتْ
فِيهِ شَهَـادَةَ صِدْقٍ غَايَةَ الـطَّلَبِ

هُنَـالِـكَ الـنَّصْرُ. . .! في مَيْدَانِـهِ فُتِـحَتْ
إِلى الْهُـدَى سُبُـلٌ لَوْلاهُ لَمْ تُصَـبِ

مَوَاكِـبٌ رَفَـعَـتْ فِي كُلِّ مَعْـرَكَـةٍ
رَايَاتِهَـا خَافِـقَـاتِ الـعُـوْدِ وَالـعَـذَبِ

تَمْضِي مَعَ الـدَّهْـرِ والـقُـرْآنُ يَنْشُرُ مِنْ
ظِلٍّ عَلَيْهَـا نَدِيٍّ وَارِفٍ رَحِـبِ

يَصُوغُهَا الحَقُّ بُنْيَانًا عَلَى سُنَنٍ
وآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ لَمْ يُرِبِ

جَرَى مَعَ الدَّمِ فِي أَوْصَالِهَا فِطَراً
نَقِيَّةً فَتَلَقَّتْ صَفْوَةَ الكُتُبِ

مَا شَابَهُ مِنْ غُثَاءِ النَّاسِ شَائِبَةٌ
وَلاَ ضَلاَلُ الهَوَى أَوْ فِتْنَةُ الرِّيَبِ

نَبْعًا يُرَوِّي مِنَ الأَيَّامِ مُجْدِبَهَا
وَيَزْرَعُ الخَيْرَ فِي وادٍ وفي رَحَبِ

★ ★ ★

أَرْضَ الجَزِيرَةَ كَمْ أَنْبَتِّ مَكْرُمَةً
عَلَى رِمَالِكَ كَمْ أَوْصَلْتِ مِنْ سَبَبِ ؟ !

هِذِي الرِّيَاضُ فَكَمْ دَوَّتْ مَنَازِلُهَا
بِمَعْرَكٍ فِي سَبِيلِ اللهِ لَمْ يَخِبِ

قَضَتْ عَلَى فِتْنَةٍ هَوْجَاءَ فَانْدَحَرَتْ
مُوَلِّيَاتٍ فُلُولُ الشِّرْكِ والكَذِبِ

وَرِدَّةٍ رَدَّهَا الرَّحْمٰنُ خَائِبَةً
وَصَدَّعَ اللهُ مِنْ بُنْيَانِهَا الخَرِبِ.

فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ذِكْرَى مُعَطَّرَةٌ
نَدِيَّةٌ تَرْتَوِي بِالْمَنْهَلِ العَذِبِ

★ ★ ★

عَرَائِسَ المَجْدِ. . .! عُودِي كُلُّ حَانِيَةٍ
أَضْحَتْ بِذِكْرَاكِ مَغْنَى المنزلِ الخَصِبِ

عُودِي فَمَغْنَاكِ رَيَّانٌ عَلَى وَصَبِ
مِنَ الهَوَى شَيِّقِ الأَكْنَافِ والكُثُبِ

وَكُلُّ صَادِقَةٍ مِنْ حَوْلِهَا انْطَلَقَتْ
تُعِيدُ مِنْ عُرْوَةِ الإِيْمَانِ والنَّسَبِ

لَوْلَا الهُدَى جَفَّتِ السَّاحَاتُ وانطَفَأَتْ
بِهَا اللآلِئُ بَيْنَ الفَقْرِ والجَدَبِ

★ ★ ★

تَلَفَّتِي. . .يَا رِمَالَ البِيدِ. . .! كَمْ طَلَعَتْ
مَعَ اللَّيَالِي حُشُودُ الكَرْبِ والنُّوَبِ

أَنَّى تَلَفَّتِّ أَحْبَالٌ مُقَطَّعَةٌ
وَرِدَّةٌ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَمْ تَتُبِ

عَوَتْ ذِئَابٌ وَمَدَّتْ مِنْ مَخَالِبِهَا
مُدَمَّيَاتٍ مِنَ الأَشْلَاءِ والحَرَبِ

عَدَوا عَلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى بغَائِلَةٍ
مِنَ الخِدَاع وَمَكْرٍ عَنْهُ «مُنْتَدَبِ»

يُصَدِّعُ الشَّرْقَ طَرْقًا مِنْ مكَائِدِهِ
بِكُلِّ دَاهِيَةٍ مَجْنُونَةِ - اللَّهَبِ

وَالنَّاسُ بَيْنَ سُكَارَى أَوْ عَبيْدِ هَوًى
عَلَى حُطَامٍ مِنَ الأَهْوَاءِ والرَّغَبِ

كَأَنَّمَا الشَّرْقُ أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ
أَوْ أَنَّ سُمْرَ القَنَا أَضْحَتْ مِنَ الغَرَبِ

مَدَافِعُ القَوْمِ صَوْتٌ لَا لَهِيبَ لَهُ
وَمَدْفَعُ الكُفْرِ نَارُ المَوْتِ والعَطَبِ

رُدّي رُبَى «النِّيلِ» هل في الدار نائِحَةٌ
أَمْ أَنَّ هَذِى لَيَالِي الأُنْسِ والطَّرَبِ

وَيَا «فُرَاتُ» فَهَلْ نَاجَيْتَ شَارِدَةً
مِنَ الحَمَائِمِ عَنْ غُصْنٍ لَهَا رَطِبِ

أَلَمَّ عَنْ «بَرَدَى» ذِكْرَى لَعَلَّ بهَا
زَحْفًا إِلى المَوْتِ يَمْضِي غَيْرَ مُنْسَحِبِ

عَلَى ضِفَـافِـكَ يَا أُرْدُنُّ هَلْ طَلَعَـتْ
عَلَى الْمُـصَـابِ رُؤًى فِي الْمَـوْقِـفِ الحَـزِبِ

أَنَّـى تَلَفَّـتُّ فِي دَارِي وَجَـدْتُ بِهَا
بَيْنَ الـسَّـوَادِ نَشِـيْداً غَيْرَ مُكْـتَئِـبِ

حَتَّـى كَأَنَّ الأَسَـى أَضْـحَـى بِهَا عُرُسـاً
أَوْ نَشْـوَةُ الـلَّهْـوِ قَدْ أَعْـمَـتْ عَنِ الـنُّـوَبِ

أَيُّ الإِذَاعَـاتِ لَمْ تُطْلِقِ أَغَـانِـيَهَـا
مُوَشَّـيَاتٍ عَلَى لَحْنٍ لَهَا عَذِبِ

وَكُـلُّ غَانِـيَةٍ أَغْـفَـتْ عَلَى سُرُرٍ
وَأَطْـبَـقَـتْ مِنْ جُفُـونِ الـشَّـوْقِ والهُـدُبِ

وَحَـوْلَهَـا مِنْ دُفُـوفِ الـلَّهْـوِ سَادِرَةٌ
وَرَقْـصَـةُ الْمَـوْتِ فِي سَاحٍ وَفِي عَتَـبِ

عُوْدِي رِمَـالَ الـصَّـحَـارَى هَلْ رأَيْتِ أَسًـى
ملفَّـعًـا بِسَـوَادِ الـلَّيْلِ والـشَّـجَـبِ

هَلَّا قَذفْـتِ عَلَى الـسَّـاحَـاتِ مِنْ عُصَـبِ
مَيْمُـونَـةٍ وَصَـلَتْ مِنْهَـا إِلَى عُصَـبِ

رُدِّي لَنَا مِنْ أَبي بَكْرٍ وَمِنْ عُمُرٍ
وَمِنْ عَلِيٍّ وَعُثْمَانٍ وعَزْمِ أَبي

وَمِنْ مُعَاذٍ وَسَعْدٍ وَالأُلى نَهَضُوْا
لَمَّا دُعُوْا فَأَجَابَتْ نَخْوَةُ النُجُبِ

«أَبو دُجَانَةَ» قَدْ شَدَّ العِصَابَةَ في
رَأْسٍ وَمَدَّ نِصَالَ الْمَوْتِ والعَطَبِ

وَذَا «عُمَيْرٌ» وَقَدْ أَلْقَى بِتَمْرِتِهِ
يِمْضِي إلى جَنَّةٍ خَضْرَاءَ لَمْ تَغِبِ

رُدِّي لَنَا صُدُقًا في اللهِ ... كُلَّ فَتًى
أَغَرَّ يَنْشُبُ مِنْ بِيْضٍ وَمِنْ يَلَبِ

★ ★ ★

عَرَائِسَ المَجْدِ..! عُوْدِي كُلَّ نَاحِيَةٍ
أَنَّى التَفَتِّ صَفَاءُ الصِّدْقِ والنَّسَبِ

سيطلعُ الفَجْرُ مَهْمَا طَالَ مَوْعِدُهُ
عَلَى شُمُوسٍ مِنَ الآفَاقِ والسُّحُبِ

يَزِيْنُ مَغْنَاكِ فِيْهِ كُلُّ لُؤْلُؤَةٍ
رَجَوْتِهَا وَعُقُودُ الدُّرِّ والذَّهَبِ

١٣٩٩/٤/٢١
١٩٧٩/٣/١٩

غرق كثير من المسلمين في المظهر وأضاعوا الجوهر وخارت الهمم والعزائم . . . وضعف الجهاد . . . ونضب العلم والفقه

ضيَاع

أرْخَـوْا هَوَاهُـمْ وَمَـدُّوا من «مَسَـابِحِهِمْ»
وَزَيَّنُـوا من مُسُـوحِ الـكِـبْرِ والـبَـطَرِ

وَتَمْـتَـمُـوا حَلَقَـاتِ الـذِّكْـرِ لاَهِـيَةً
نُفُـوسُـهُـمْ وَغَـفَـوْا في نَاعِـمِ السُّرُرِ

وَفَـلْسَـفُوْا كُلَّ تَقْـصِـيرٍ وَمَـعْـصِـيَةٍ
بِمَـنْـطِقٍ عَاجِـزِ الـتِـبْـيَانِ مُحْـتَـقِـرِ

لَمْ يَتْرُكُـوا مِنْ أُمُـورِ الـدِّينِ بَيِّنَـةً
إلَّا رَمَـوْهَـا عَلَى تِيْهٍ مِنَ الـفِـكَـرِ

ثُمَّ ادَّعُـوا نَسَـبًـا للدِّينِ وَيْحَـهُـمُ
وَشَـائِـجُ الـدِّينِ تَقْـوَى القَـلْبِ والـفِـطَرِ

وَهِمَّــةٌ نَهَضَــتْ للهِ صَادِقَــةً
وَلَمْ تُوَلِّ الــعِــدَى فِي الــرَّوْعِ مِنْ دُبُــرِ

تَمَسَّــكَــتْ بِكِــتَــابِ اللهِ وَاعْــتَــصَــمَــتْ
بِسُــنَّــةٍ وَمَــضَــتْ مُتْــبُــوعَــةَ الأَثَــرِ

١٩٧٧

بَيْنَ شَقيقتَيْن

إحداهما تحتضر وخطيبها غائب

الأُخت :

مَاذَا أَقُـولُ إِذَا ما عَادَ في وَلَـهٍ
وَطَـافَ يَسْـأَلُ أَهْـلَ الحـيِّ حَيْرَانَـا
تَكَـادُ أَشْـوَاقُـهُ تُوْمِـيْ بلَهْـفَـتِـه
وَتَـفْـضَـحُ الـرَّيْبَ في عَيْنَـيْهِ أَحْـزَانَـا

الخطيبة :

قُولي لَهُ غِبْـتُ عَنْ دَارٍ تَئِـنُّ بها
شَكْـوَى وَتَـقْـتُـلُ عُشَّـاقًـا وَخِـلَّانَـا

الأُخْتَ :

وَإِنْ أَعَـادَ حُمَيًّا من لوَاعِـجِـهِ
وَحَـرَّقَـتْ جَفْـنَـهُ بَلْوَاهُ نيرانَـا
وَمَـاجَ فِي شَفَـتَـيْهِ الـوَجْـدُ مرتجِـفـاً

الخطيبة :

فَحَـدِّثِـيْهِ حَديثَ الأُخْـت سُلْوَانَـا

الأخت :

وَإِنْ تَسَاءَلَ عَنْ دارٍ رَحَلْتِ لَهَا

الخطيبة :

فَقَدِّمي خاتَمي رَمْزاً وَعُنْوَانَا
وَلاَ تُجِيْري جَوابًا، رُبَّ صامِتَةٍ
أَضْفَتْ عَلى صَمْتِهَا بِرًّا وإِحْسَانَاً

الأخت :

وَرُبَّمَا وَالأَسَى يُدْمِي جَوانِحَهُ
والذِّكْرَيَاتُ تُذيقُ القَلْبَ أَلْوانَا
يَطُوفُ بَيْنَ جِنَانِ الدَّار، مَا بَرِحَتْ
تُعِيْدُ مِنْ هَمَسَاتِ الأَمْسِ أَلْحَانَا
يَشُقُّ بَيْنَ ظِلاَل الحُزْنِ خَطْوَتَهُ
يَلْقَى عَلَى دَرْبِهِ أَيْكاً وَبُسْتَانَا
يَرَى هُنَالِكَ، أَنَّى طَافَ نَاظِرُهُ،
خَيالَكِ الحُلْوَ فَوّاحًا وَرَيَّانَا
حَتَّى تَفِيْضَ مِنَ الأَحْزَانِ دَمْعَتُهُ
وَقَبْلُ كَانَتْ عَلَى الأَهْوَالِ عِصْيَانَا
يَعْشَى بِهَا وَيَطُوفُ الحَيَّ مُلْتَمِساً
عَلَى يَدَيْهِ زَوَايَا الدَّار تَحْنَانَا

يَقُـولُ مَا بَالُ هَذِي الـدَّارِ غَادَرَهَـا
نُوْرٌ وأَظْـلَمَ مِنْهَـا كُلُّ مَا كَانَـا

الخطيـبة :

قُوْلِي لَهُ انْـطَفَـأَ المِـصْبَـاحُ وابْـتَـسَـمَتْ
كَمَا تَبَـسَّـمَ يَوْمَ الـبَـيْنِ وَلْهَـانَـا
تَرَكْـتُ مِنْ بَسْـمَـتِي إِشْرَاقَـةً وَصَـلَتْ
مَعَ ابْـتِـسَـامَـتِـه أَيَّامَ لُقْـيَانَـا
سَنَـلْـتَـقِـي فِي جِنَـانِ الخُـلْدِ مُشْرِقَـةً
طَهَـارَةُ الحُـبِّ إِيْمَانًـا ورِضْـوَانَـا

١٩٥٢

في يوم ممطر، كانت تجتاز الوحول، فأهوت بينها، وهمّ لنجدتها...

يَوم مُمطِر

هَمَّتْ وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَا
فَعَلَ الشِّتَاءُ عَلَى الطَّرِيقِ

وَتَحَفَّزَتْ لِلوَثْبِ بَيْـ
ـنَ مَزَالِقِ الدَّرْبِ الغَرِيقِ

وَثَنَتْ هُنَالِكَ ثَوْبَهَا
ثَنْيَ الرَّفِيْقَةِ لِلرَّفِيقِ

وَتَكَشَّفَتْ سَاقٌ تَمَو
وَجُ بِالْبَيَاضِ وبِالعَقِيْقِ

خَافَتْ عَلَى الثَّوْبِ المُنَمْـ
ـمَقِ والأَسَى وَمْضُ البُرُوقِ

وَهَفَتْ بِيُمْنَاهَا تَشُدْ
دُ بِهَا عَلَى الصَّدْرِ الخَفُوْقِ

★ ★ ★

قفَزَتْ فَلَمّا غَاصَ كَعْـ
ـبَاهَا وَضَاقَ بِهَا الْمُضِيُّ

وَتَلَجْلَجَتْ مَذْعُورةً
وَكَأَنَّهُ أَمْرٌ فَرِيُّ

وَتَلَفَّتَتْ جَزَعًا إِلَيْ
يَ فَرَدَّهَا الْخُلُقُ الأَبِيُّ

والثَّوْبُ أفْلَتَ وارْتَخَى
عَنْ نَهْدِهَا كَفٌّ حَيِيُّ

والقَطْرُ فَوْقَ الوَجْنَتَيْـ
ـنِ كَأَنَّهُ دَمْعٌ عَصِيُّ

★ ★ ★

نَادَيْتُهَا: «ياأُخْتُ ...! فانْـ
طَلَقَتْ كأنِّي ذُو فُضُوْلِ

وَدَنَوْتُ أُسْعِفُهَا ... فَأَهْـ
وَتْ وَيْحَهَا بَيْنَ الوُحُوْلِ

فالساقُ والكَفُّ الضَّعيْـ
ـفُ وَفِتْنَةُ الثَّوْبِ الجَمِيلِ

والوَجْنَتانِ وَخُصْلَةٌ
سَرَحَتْ عَلَى الخَدِّ الأَسِيلِ

وَدَنَوْتُ فَانْطَلَقَتْ مُهْرْ
وِلَةً تَجُرُّ مِنَ الذُّيُولِ

وَتَلَفَّتَتْ... ! وَتَحَارُ فَوْ
قَ جُفُونِهَا حُمَّى الذُّهُولِ

★ ★ ★

وَيَكَادُ يَفْضَحُ جَفْنُهَا
إِسْرَارَةَ العَذْرَاءِ جَهْرا

وَيَكَادُ مَبْسِمُهَا يَشُقْـ
ـقُ عَنِ الحَيَاءِ رِضاً وَشُكْرَا

وتخلَّف المِنْدِيلُ مِنْ
يدِهَا يَفُوحُ هُنَاكَ عِطْرَا

عَبَقَ العَفَافِ وَزِيْنَةً
مِنْ طُهْرِهَا لَمْ تُبْدِ سِرًّا

وَمَضَتْ وَخَلَّفَتِ الشَّذَا
يُحيِي مِنَ الأَخْلاَقِ ذِكْرَى

هَوَتِ الفَتَاةُ وَما هَوَى
خُلُقٌ لَهَا أَوْ فَضَّ سِتْرَا

★ ★ ★

وَمَضَتْ تَرُدُّ عَلَى مُحَيَّـ
ياها حِجَابَ الطُّهْرِ رَدّا

تُخْفِي كَمَا شَاءَ التُّقَى
مِنْ زِينَةٍ وَتَرُدُّ بُرْدا

وَتَضُمُّ مِنْ أَدَبٍ وَمِنْ
خُلُقٍ وَتَحْفَظُ فِيْهِ عَهْدَا

نِعْمَ الحَيَاءُ فَإِنَّهُ
يَهَبُ الجَمَالَ شَذَا وَنَدَّا

هَذِي غِرَاسُ الدِّيْنِ طا
بَتْ بالتُّقَى عُوْدًا وَوَرْدَا

طَابَتْ فَتَاةٌ صَاغَهَا الـ
إِسْلامُ إِيْمَانًا وَمَهْدَا

وَرَعَى لَهَا فِطراً وَخَطْ
طَ لَهَا مِنَ الأَحْلامِ رَغْدا

هِيَ فِي دُرُوبِ الخَيْرِ رَيْـ
حَانٌ يَمُدُّ الخَيْرَ مَدًّا

وَتَصُوغُ مَعْدِنَهَا النَّقْيـ
يَ جَواهِراً وَتَصُوغُ عِقْدَا

تَهَبُ الأُمُومَةَ مِنْ وَفَا
ءِ حَنَانِهَا عَزْمًا وَجُهْدَا

عَصَرَتْهُ مِنْ دَمِهَا هَوًى
تَغْذُو بِهِ الأَجْيَالَ شَهْدَا

وَهَبَتْ، وَمَا بَخِلَتْ عَلَى
أَبْنَائِهَا، قَلْبًا وَكَبْدَا

وَلِزَوْجِهَا نَشَرَتْ دُنا
مَمْدُودَةً بِشْراً وَسَعْدَا

نَفَحَتْهُ صَفْوَ البِرِّ مِنْ
إِيمَانِهَا شُكْراً وَحَمْدَا

صَانَـــتْ لأُمَّــتِــهَــا الحُــدُو
دَ وَأَوْرَثَـــتْ شَرَفًـــا وَمَجْــدَا

دَفَــعَــتْ عَلَى شَتَّـــى مَيَا
دِينِ الجِــهَــادِ هُدًى وَجُــنْــدَا

★ ★ ★

١٩٥٥

على جَبَل المكبّر في القدس تقوم الكلية العربية ـ أو دار المعلمين. . . في ساحاتها وبين زهورها قضينا أربع سنين.

هل تُرَانا نعود يا دار يومًا

نَحْنُ في مَنْزلٍ رَخِيٍّ أَطَلَّتْ
فَوْقَهُ الشَّمْسُ مِنْ ظِلَالِ السَّحَابِ

وَهَبَتْهُ مَعَ الشُّعَاعِ حُلِيّاً
وَمَعَ الطَّلِّ زَهْوَةً مِنْ شَبَابِ

خُضْرَةٌ تَبْسِمُ الزُّهُورُ عَلَيْهَا
بَيْنَ مَوْجٍ مِنَ الشَّذَا واضْطِرَابِ

يَفْتَحُ الوَرْدُ جَفْنَهُ عَنْ دَلَالٍ
فَتَمِيْلُ الزُّهُورُ فِي إعجابِ

وَثِمَارٌ عَلَى الغُصُونِ ... وَسَاحٌ
وَظِلَالٌ مَمْدُودَةٌ مِنْ رِغَابِ

كُلُّ وَادٍ عَلَى الـضِّفَـافِ تَلَقَّـى
لَفْـتَـةَ الـبِـيْدِ أَوْ حَنِـيْنَ الـرَّوَابِي

أَفْـرَغَـتْ شَوْقَـهَـا عَلَيْهِ فَأَغْـفَـى
فِي ظِلَالٍ مِنَ الـغُـصُـونِ الـرِّطَـابِ

هِيَ كَفُّ الـزَّمَـانِ يَحْمِـلُ فِيهَـا
مَا يَشَـاءُ الـزَّمَـانُ مِنْ إِخْـصَـاب

★ ★ ★

وَالْمَـيَامِـيْنُ فِي مَدَارِجِـهِ الْخُضْـ
ـرِ جِهَـادٌ وَنَـفْـحَـةٌ مِنْ لُبَـاب

بَيْنَ لَهْوٍ ... على بَرَاءَتِـهِ الـعُـمْـ
ـرُ تَخَطَّى لِوَثْـبَـةٍ وَطِـلَاب

لا يَرَوْنَ الْحَـيَاةَ إِلَّا انْـتِـهَـابَـاً
مِنْ أَمَـانٍ ومِـنْ مَعَـانِي كِتَـابِ

وَ«كُـراتٍ»[1] تَدُورُ فِي الْأُفْـقِ حَيْرَى
بَيْنَ شَوْقٍ مِنَ الْمُـنَـى وَارْتِـيَابِ

فَهَـوَتْ مِنْ ضَيَاعِـهَـا فِي ذُرَى الْأُفْـ
ـقِ وَحَـنَّـتْ لِعَـوْدَةٍ وَإِيَابِ

---

(١) كرة القدم.

غُرَفٌ خَيَّمَ السُكُونُ عَلَيْهَا
وَنَواحٍ تَضِجُّ بالطُّلَّابِ

فَفَرِيْقٌ عَلَى جَوَانِب سَاحٍ
وَفَرِيقٌ عَلَى سُفُوحِ هِضَابِ

رَكِبُوا الدَّهْرَ لَيِّناً وَتَمَنَّوا
وَيْحَهُمْ أَنْ يَطُولَ لِينُ الرِّكَابِ

هَلْ تُرَانَا نَعُودُ يا دَارُ يَوْماً
إِنْ رَحَلْنَا وَطَالَ عَنْكِ غِيَابي

فَوْقَ هَذِي الْمُرُوجِ أَتْرُكُ قَطْراً
مِنْ حَنِينٍ وَلَهْفَةً مِنْ شَبَابِي

وَعَلى كُلِّ سَاحَةٍ ذِكْرَيَاتٌ
حَانِيَاتٌ عَلَى أَمَانٍ عِذَابِ

إِنَّ مِنْ حَوْلِنَا عَدُوّاً لَئِيماً
جَرَّدَ النَّصْلَ مِنْ بُطُونِ القِرَابِ

مَنْ تُرَاهُ يَرُدُّ كَيْدَ يَهُودٍ
وَانْتِدَابٍ مُلَفَّعٍ بِحِجَابِ

١٩٤٧

مداعبات مع الإخوان

مغرور أعجبتْهُ ضخامة جثته ودفعه غروره وطيشه إلى ارتياد أحياء اليهود للعبث والضياع .

غـُرور

يا صَاحِـبَ الْخُـلُقِ الْخَـبـيْث أَلَا تَرَى
فِيكَ الـنَّـذَالَـةَ رُكِّـبَـتْ والْـعَـارَا

وَتَـبِـيْتُ مَا بَيْنَ الـيهُـودِ مُوَاطِـنًـا
لَيْلًا تَـؤُمُّ حِيَاضَـهَـا وَنَهَارَا

والـسَّـاقِـطَاتُ بِهَا أَثَـرْنَ بكَ الهَـوَى
فَـرَكَـضْـتَ تَلْهَـثُ خَلْفَـهُـنَّ جِهَارَا

وَلَـقَـدْ بَعُـدْتَ عَنِ الـفَـضَـائِـلِ كُلِّهَـا
وَسَـقَـطْتَ فِي خُبْـثِ الـرَّذَائِـلِ جَارَا

إِنْ كَانَ فَخْـرُكَ باجْـتِـمَاعِـكَ جُثَّـةً
فَالْـبَـغْـلُ بَاتَ أَحَـقَّ مِـنْـكَ فَخَـارَا

لَوْ لَمْ يَكُنْ في الأَرْضِ غَيْرُكَ فَاسِداً
لَكَفى المفاسِدَ سَاعِداً وَمَشَارا

مَهْلاً! تَوَقَّفْ عِنْدَ حَدِّكَ! لا تَرى
جُثَثَ الأَنَامِ مَعَزَّةً وَفَخَارَا

فَالدِّينُ والأَخْلَاقُ زِينَةُ صَادِقٍ
والعَقْلُ زَانَهُمَا هُدًى ووَقَارا

١٩٤٣

تهنئة في زفاف:

تقسّمُ يا ربّ أنت الجدود

مَلاَكَ السَّعَادَةِ زُفَّ السَّعَادَة
بِأَمْرِ الإِلَهِ وَبَارِكْ عِبَادَهْ

وَبَارِكْ «نُهَاكَ» وأَلْحِقْ «مَهَاكَ»
بِعُرْسِ الحَيَاةِ وَطِيْبِ الوِفَادَهْ

تُقَسِّمُ يَا رَبِّ! أَنْتَ الجُدُودَ
فَأَحْسِنْ تَقَاسِيمَ هَذِي الرِّفَادَهْ

أَرَى الْبِشْرَ يَرْفُلُ فِي دَارِكُمْ
بِأَبْهَى الحُلَى «وَنُهَاكَ» القِلاَدَهْ

فَأَرْسِلُ بِالْبِشْرِ أَشْوَاقَنَا
مَعَ الطَّيْرِ يُنْشِدُ لَحْنَ السَّعَادَهْ

★ ★ ★

١٩٤٩

عند عودته ناجحاً مِنَ الامتحان:

حبّذا الكون وَهوَ آية بِشْرٍ

مَرْحَـبًـا مَرْحَـبًـا بِهَذَا الأَمِـيْرِ
وَسَـلَامًـا عَلَى أَخٍ لِي كَبِـيرِ

فَانْـظُرِ الـكَوْنَ حِيْنَ خَفَّ وآيا
تُ الهَـنا نَمَّـتْ عَنْ غِبْـطَةٍ وَحُـبُـورِ

أَتَـرَى الـزَّهْـرَ وَهْـوَ يَرْقُصُ تِيْهـاً
واعْـتِـزَازًا بِحِـبِّـهِ المَـنْـصُـورِ

أَمْ تَرَى الـطَّيْرَ وَهُـوَ يَشْـدُو عَلَى الأغْـ
صَان لَمَّا تَمَايَلَتْ في سُرُورِ

مَنْ يَعِـيْبُ الـطَّاوُوس حِيْنَ تَهَادَى
يَتَـبَـاهـى بِحُـسْـنِـهِ المَـنْـظُورِ؟!

حَبَّــذَا الــكَــوْنُ وَهْــوَ آيَةُ بِشْرٍ
كُلُّ ما فِيْهِ طَلْعَــةٌ مِنْ بَشِــيْرِ

★ ★ ★

١٩٤٤

وإلى صديق أعجبته صورته فكان يريها لأصحابه ويضعها في جيبه دائمًا معجباً بها .

صورة

طَافَ بالنَّاسِ يُرِيهِمْ
صُورَةَ القِرْدِ وَعَيْبِهْ

وَيُعِيدُ الذِّكْرَ مِنْهُ
كُلَّمَا حَنَّ لِقُرْبِهْ

هل سَمِعْتُمْ أَنَّ قِرْدًا
حَمَلَ القِرْدَ بِجَيْبِهْ

نَالَتِ الأَلْسُنُ مِنْهُ
وَمَشَى السُّوءُ بِجَنْبِهْ

خَشِيَ العَارَ فَصَلَّى
لَيْسَ إِجْلالاً لِرَبِّهْ

عَبْـدَ اللهَ وَلَـكِـنْ
كَانَ إِبْـلِيسُ بِقَـلْبِـهْ

يَدْأَبُ الـشَّـيْطَانُ حَتَّـى
يُوقِـعَ الـعَـبْـدَ بِدَأْبِـهْ
١٩٤٤

مُدَاعبة مع صَدِيقٍ خُوِّل سلطة فجارَ:

وإذا الذيب سامها

خَوَّلُـوا الـعـبـد سلطة
أَيُّهـا الـعـبـدَ لا تَجُرْ

حسـب الـعـبْـدُ أَنَّـهُ
مَلَكَ الجـنِّ والـبَشَرْ

وإذَا الـنَّـفْسُ ما خلت
تُمْلأُ الـنَّفس بِالـكِـبَرْ

صَعِـدَ الـعَـبْـدُ وَارْتَـقَـى
وَهَـوَى الحـر وانْـحَـدَرْ

يَعْـتَـلي الـبـحْـرَ جيْفَـةٌ
إنـما قَعْـرُهُ الـدُّرَرْ

قد سرى الـذئـب بينــكـم
فَخُــذُوا جانــب الحــذَرْ

يصــلحُ الــقَـوْمُ عنــدمَـا
يحكــم الــقَـوْمَ ذُو الخِــبَرْ

وإذَا الــذئــب سامــنـا
أيُّ شاةٍ بِلاَ خَطَرْ

١٩٤٤

أخ عزيز الأستاذ سليم البَرادعي. . . كتب له أحد إخوانه أبياتاً من الشعر وضعها في لوحة رسم عليها عقداً من الجواهر. يَضُمُّ أسماء العائلة. وكان الأولاد يوم ذاك ستَّة. ثم أصبحوا تسعة أولاد مباركين إن شاء الله . . . فأتممت له الشعر السابق بهذه الأبيات حتى تكمل اللوحة ويكْمُلَ العقد.

عِقْد

وَهَبَ الإلَهُ وَكُلُّ نُعْمَى آيَةٌ
صَدَقَتْ وَكُلُّ فَضِيْلَةٍ لا تُنْكَرُ

فَإِذَا «بِسَائِدَةٍ» يَفُوحُ شَذَا التُّقَى
مِنْهَا ويأْتَلِقُ السَّنَاءُ وَيُنْشَرُ

و «إيَادُ» صَحَّ الأيْدُ مِنْ عَزَمَاتِهِ
وزَكَتْ شَمَائِلُهُ وَطَابَ الجَوْهَرُ

يَمْضُونَ يَسْتَبِقُ المَطَالِعَ «رائِدٌ»
لِلبُشْرَيَاتِ وَعَزْمُهُ مُتَفَجِّرُ

فَإِذَا هُمُ تِسْعٌ يُنَظِّمُ عِقْدَهُمْ
صَفْوُ الوِدَادِ وَذِمَّةٌ لا تُخْفَرُ

١٣٩٧/١١/٢
١٩٧٧/١١/١٢

وعلى مائدة طيبة جمعتنا، وأصناف من الطعام شهية... قلت:

وبَعْـدَ ذاك افتراقُ

أَنْـتَ يا «سَـعْـدُ» قَدْ مَلأْتَ بُطُونًـا
وَغَـمَـرْتَ الـنُّـفُـوسَ بِشْراً وَسَـعْـدا

حِيْنَ ضَمَّ الـصِّـحَـابَ مَائِـدَةٌ كُبْـ
رَى، وَدَارَتْ عَلَى شِفَـاهِـيَ شَهْـدَا

كُلُّ «مَحْـشِـيَّةٍ» تَحَرَّكُ وَجْـداً
وَدَلالاً إلى فِمـي لَنْ تُرَدَّا

وَفِـرَاخٌ تَطِيْر مِنْ صَحْـنِهَـا الـوا
سِعِ تَسْـعَـى إلى الـبُـطُونِ وَتَهْـدَا

إِيهِ يا «كُـبَّـةٌ» تُمَزِّقُـهَـا الأَضْـ
رَاسُ كَيْداً مِنْ حُسْـنِهَـا أَو حِقْـدَا

هَا هُوَ اللحمُ مَا تَشَاءُ فَهَيَّا
لِغَرَامٍ وَدَعْ لِغَيْرِكَ هِنْدَا

هَلْ رَأَيْتَ الصِّحَابَ سَالَتْ لُعَابًا
كُلُّ فَرْدٍ هُنَاكَ شَمَّرَ زَنْدَا

وأَيَادٍ تَشَابَكَتْ فَوْقَ صَحْنٍ
مَزَّقَتْهُ الأَهْوَاء شَدًّا وَمَدًّا

وَسَكَاكِينُ جُرِّدَتْ وانْطِلاَقٌ
وَعُيُونٌ مُحَمْلِقَاتٌ تَحَدَّى

إِنَّ «عبد العليم» ضَاعَ لَدَيْهَا
وَشَكَا وَجْدَهُ إِلَيَّ وأبْدَى

و «بشيرٌ» تَرَاهُ يَمْلأُ فَاهُ
فَأَضَاعَ النُّهَى، وَضَيَّعَ رُشْدَا

لَا تَخَفْ «سَعْدُ» إِنْ تَرَكْنَاكَ فَرْداً
بَعْدَ نَسْفِ الطَّعَامِ تَفْرُكُ جِلْدَا

أَيُّ ضَرْبٍ يَنْهَالُ فَوْقَكَ مَحْمُو
مًا ويَلْوِي أَضْلاَعَكُمْ . . . ! فَاسْتَعِدَّا

★ ★ ★

هَكَــذَا نَلْتَــقِــي على «مَــائــدات»
مِنْ طَعَــامٍ وَبَــعْــدَ ذَاكَ افْــتِرَاقُ

هَا هُنَــا صُحْــبَــةٌ وَحُــسْــنُ ودَادٍ
وَمَــعَ الــعُــمْــرِ فِتْــنَــةٌ وَشِــقَــاقُ

فَجِــهَــادٌ عَلَى الــطَّعَــامِ شَدِيدٌ
وَهَــوَانٌ مَعَ الــعِــدَى لا يُطَاقُ

١٩٦٣

دعانا أصدقاء إلى متنزه، فلما حضرت الخمرة انسحبت وكان معنا صديق وددتُ لو انسحب معي . . . فقلت:

أفْرَغَ الكَأس

إنَّ «هَـذَا الـصَّـدِيق» ضُلِّلَ أَمْس
أَفْـرَغَ الـكَـأْسَ حِينَ حَطَّمْـتُ كَأْسِي

سَحَـرَتْـهُ مَجَالِسُ الـلَّهْـو لَمَّا
دَارَت الخَـمْـرُ . . . ! ضَيَّعَـتْ كُلَّ رَأْس

أيُّ صَحْـب دَعَـوْكَ للسُّـوءِ لَيْلاً
يَتَـخَـفَّـوْن مِنْ عُيُونِ وَهَـجْس

ظَنَّ أَنَّ الـظَّلَامَ يَطْوِي غَوَايَا
تِ وَلَا يَنْشُرُ الحـدِيْثَ بِهَمْسِ

★ ★ ★

تَسْرَحُ الـعَـيْنُ وَهِـيَ تَبْـحَـثُ عَنْ نَشْـ
وَتِهَـا فِي صَبَـابَـةٍ وَتَحَسِّي

وَعَـلَيْهَـا مِنَ الـضَّـلاَلِ سَحَـابَـا
تُ وَأَمْـوَاجُ لَهْوِهَـا فَيْضُ رِجْسِ

نَظَرَاتٌ تَغِـيْبُ بَيْنَ عُبَـابٍ
وَعَـلى شَاطِـىءِ الأَمَـانِيِّ تُرْسِي

وَطَـوَتْ مِنْ حَيَائِـهَـا وَتَخَلَّتْ
عَنْ وَقَـارٍ. . ! وَقِـيْلَ مَجْلِسُ أُنْس

★ ★ ★

لَمْ تَعُـدْ للإِلـٰـهِ «عَـبْـداً» تَقِـيَّاً
صِرْتَ عَبْـداً لِكُـلِّ فِسْـق وَبُـؤس

كَانَ ظَنِّي بِأَنَّ «سَـعْـداً» دَعَـاكُـمْ
فَإِذَا بالَّـذِي دَعَـا وَجْـهُ نَحْسِ

وإِذَا «بِـالـبَـشِـير» ضَيَّعَ آمَـا
لاً و «فَـرْحـاتـنـا» تَصِـيْرُ لِتَـعْس

و «الـسَّـلِّيْمُ» الـذي عَرَفْـتَ عَلِيْلٌ
ضَاعَ «صَـحْـبُ» وَمَـا دَرَى. . ! وَيْحَ نَفْسي

★ ★ ★

١٩٦٣

إلى صديق جمعتنا مائِدَة أَلْهَتْنَا عن بعض الدراسات والأعمال:

تفرقت كشتات العمر ضائعة

وكـيف تَذْكُـرُ أَوْراقًـا وَقَـدْ عُرِضَـتْ
أَمَـامِ عَيْنَـيْك أَشْـكَـالٌ وأَلْـوَانُ

نَماذِجٌ مِنْ طَعَـامِ الشَّرْق قَدْ نُظِمَـتْ
كأَنَّها زَهَـرٌ يَحْوِيه بُسْـتَـانُ

مِنْ «كُـبَّـةٍ» حُلْوَةٍ لانَـتْ عَلَى شَفَـةٍ
كَما يَلِينُ على عُشَّـاقِـهِ الـبَـانُ

يَكَـادُ يَقْـفِـزُ لَحمُ الـطَيْر مُنْـطَلقًـا
كأَنَّـمَا رُكِّـبَـتْ للَّحْـم سِيْقَـانُ

وَفَـرْخَـةٍ لَا يَكَـادُ الـصَّـحْـنُ يَحْمِـلُهَـا
حَتَّـى تَطِيرَ وَيَلْقَـى الـطَّيْرَ أَغْـصَـانُ

وَ «حُمُّصٍ» سالَ فِيه «الـزَّيْتُ» إذْ غرقَـتْ
فيه الـلحـوم فأَنْـجَـى الـلحْـمَ رُبَّانُ

أَوْ أَنَّـهُ الـسَّـهْـل شُقَّـتْ دُوْنَـهُ سُبُـلٌ
وَحَـوَّمَـتْ في نَوَاحِـي الـسَّـهْـل عِقْبَـانُ

عَزَائِـمٌ في مَجَالِ الأَكْـلِ صَادِقَـةٌ
وفي سِوَاهُ فَتَـزْوِيرٌ وَبُهْـتَـانُ

هَوًى يُجَمِّـعُـهَـا حِيْنًـا، وَيَصْرِفُـهَـا
حِيْنًـا وَلَـيْسَ لَهَا في الـرَّوْع مَيْدَانُ

تَفَـرَّقَـتْ كَشَـتَـات الـعُـمْـر ضَائِـعَـةً
وَضَـاعَ بَيْنَ حُمَيَّا الـلَّهْـوِ أَوْطَـانُ

١٩٧٠

مرض أثناء دراسته واستعداده للامتحان .

ومن صدق العزم في أمره

تَوانَـيْتَ إِذْ رَنَّ صَوْتُ المَـعَـالِي
يَهِيْبُ بِمَـنْ نَامَ أَوْ مَنْ رَقَـدْ

فَرُجَّ الـصُّـفُـوفَ وَضَـعْ هَالَـةً
مِنَ الـعِـزِّ يَبْـقَـى فَخَـارَ الأَبَـدْ

وَمَـنْ صَدَقَ الـعَـزْمَ فِي أَمْـرِهِ
فَلَيْسَ يَفِـلُّ الـعَـزِيْمَـةَ حَدْ

أَحَـقًّـا يَسِـيْرُ بِهَذِي الـعُـرُوق
وَيَمْشِي الـعَـنَـاءُ بِهَذَا الجَـسَـدْ

إِذَا هَاجَمَـتْـكَ عَوادِي الـزَّمَـان
وَسُـلَّ عَلَيْكَ حُسَـامُ الحَـسَـدْ

فَعُـذْ بِالإِلَـهِ فَفِـيْهِ الـرَّجَـاءُ
وَمِـنْـهُ الـشِّـفَـاءُ! إِلَـهٌ صَمَـدْ

* * *

١٩٤٥

أبيات قدمتها إلى إبن عمِّي حين أهديته نسخة من ديوان «الأرض المباركة».

إهــــْدَاء

يا ابْــنَ عَمِّــي . . . ! إلَـيْكَ أُهْــدِى كِتَــابي
حَمَلَتْــهُ أَيْدِي الــوَفَــا والحَــنَــانِ

رَحِــمُ بَيْنَــنَــا يُوَثِّــقُــهُ الــلــ
ــهُ وَيَحْــمِــيه مِنْ عَوَادِي الــزَّمَــانِ

رَحِــمَ الله مِنْ أَبِــيكَ خِلاَلاً
زَيَّنَــتْــهَــا شَجَــاعَــةُ الــفِــتْــيَانِ

والمُــرُوءَاتُ في مُحَيَّاهُ عَزْمُ
نَضَّرَتْهَــا بَشَــاشَــةُ الإِيمَانِ

أَنْــبَــتَــتْــهَــا مِنَ الجُــدُودِ غِرَاسٌ
وَسَــقَــوْهَــا مِنْ نَبْــعَــةِ الإِيْمَان

يا «أبـا ظافـرٍ» عَلَيْكَ سَلاَمٌ
رَفَّ مِنْـهُ الـنَّـدَى عَلَى رَيْحَـانِ

أنْـتَ أنْـجَـبْـتَ «ظَـافِـراً» و «بَهَـاءً»
وَتَـوَلَّى «بَـشَّـارُ» صِدْقَ الـبَـيَانِ

وَإِذَا «الـنُّـورُ» بَيْنَهُـمْ يَتَـلاَلاَ
وإِذَا «الـسَّـعْـدُ» مُقْـبِـلٌ بالأَمـانِـي

والـقَـوَارِيْرُ والحِـسَـانُ الـصَّـبَـايَا
يَتَـلَفَّـعْـنَ بالـتُّـقَـى والأَمَـان

١٣٩٨/٤/١

١٩٧٨/٣/٩

فهرس الكتاب

كتب للمؤلف

- دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية — الطبعة الخامسة .
- ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية — الطبعة الثانية .
- الشـــورى لا الديمقراطيـــــة — الطبعة الثانية
- لقـــاء المــؤمنين - الجزء الأول — الطبعة الثالثة .
- لقـــاء المــؤمنين - الجزء الثاني — الطبعة الأولى .
- منهـج المؤمن بين العلم والتطبيـق — الطبعة الأولى .

- الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته — الطبعة الأولى .

- ديـــــوان الأرض المباركـــــة — الطبعة الخامسة .
- ديـــــوان مـــوكب النـــــور — الطبعة الثالثة .
- ديـــوان جراح على الـــــدرب — الطبعة الثانية .
- ملحمـــــة الغُرَبـــــــاء — الطبعة الأولى .

كتب تحت الإعداد

- دراسة انتشار الموجات الالكترومغناطيسية المتوسطة .

ديوان موكب النور
فسح وزارة الاعلام
الرياض - المملكة العربية السعودية
رقم الصفحة (١٠) بموجب السجلات
تاريخ ٢٣/ ٥/ ١٤٠٣هـ

دار النحوي للنشر والتوزيع

ت: ٤٠١٠٢٥٧ - ص.ب: ١٨٩١
الرياض ١١٤٤١
المملكة العربية السعودية

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
المعذر ٤٨٢٤٩٨٣ / ٤٨٢٤٨٦٥